

بدل الاشتراك عن سنة

- ٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

السنة الثالثة

« القاهرة في يوم الاثنين ١٩ محرم سنة ١٣٥٤ — ٢٢ أبريل سنة ١٩٣٥ »

العدد ٩٤

جمعية نهضة القرى

احتفلت هذه الجمعية البرّة منذ يومين بانقضاء عامين من جهادها النبيل في نهوض القرية المصرية . وهذه الجمعية هي أيضاً من أعمال الشباب ؛ ولعلها أقرب أعمالهم الجليلة إلى الخير المحض ! فان ما ركبوه إلى اليوم من قُبح السياسة ، وما عاجلوه من خطط الاقتصاد ، إنما كان مبعثه الفرور القومى ، أو الشعور الوطنى ، أو هما معاً ؛ أما هذا العمل فبعثه الخالص عاطفة البر في الانسان بأخيه الانسان ؛ وهذه العاطفة إنما غرستها في القلوب يد القدرة ، وأتمتها قوة الفطرة ، وفرضتها طبيعة الحياة ، ليحصل بها الثمام شمل الناس ، وانتظام عقد المجتمع ، واتحاد وجهة الانسانية بالتعاون والتضامن إلى الكمال البشرى الممكن

راع الشباب — وهم موضع الحس المرهف من الأمة — ما جرّه نفشى الأمية على القرى المصرية من انقطاع السير ، وانخزال الحركة ، وانتشار العلل ، وانفجار الأحداث ، واغبرار العيش ، وهى مصدر القوة للشعب ، ومورد الثروة للوطن ، فحشدوا جنودهم في هذا الميدان ، وسددوا جهودهم إلى هذا الغرض ، وراحوا يهاجمون الجهل والفقر والمرض في تلك الحظائر أو المقابر التى ضمنت أجوافها السود أربعة أخماس الأمة ، ثم دأبوا يقرعون الآذان

فهرس العدد

صفحة	
٦٤١	جمعية نهضة القرى : أحمد حسن الزيات
٦٤٣	كلمة وكلمة : الأستاذ مصطفى صادق الرافى
٦٤٥	ربيع الفروطة : الأمير مصطفى النبهانى
٦٤٦	الحاكم بأمر الله : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٦٤٩	روح المدرسة الانجليزية { : الأستاذ محمد عطية الابراشى
٦٥١	في الشعر — لبول فاليرى : ترجمة الأستاذ محمد روسى فيصل
٦٥٦	رشيد في مخي عيدها : الأستاذ محمد محمود جلال
٦٥٨	فلسفة موسى بن ميون : الدكتور اسرائيل ولفسون
٦٦١	قصة المكروب : الدكتور أحمد زكى
٦٦٥	شاعرنا العالمى أبو العتاهية : الأستاذ عيد المتعال الصعبدى
٦٦٨	نحية مولود (قصيدة) : الأستاذ محمود غنيم
٦٦٨	تمادوا بشكواهم » : الأستاذ غزى أبو السعود
٦٦٩	ليخو ونركيسوس (قصة) : الأستاذ دريى خشبة
٦٧٣	في ربوع أمريكا الجنوبية : الأستاذ محمد ثابت
٦٧٦	كتاب عن سنت هيلانة .
٦٧٧	ذكرى سيرفانيس ، اللغة العربية في تركيا ، اللغة العربية في أمريكا
٦٧٨	الانجليز في بلادهم (كتاب) : م . ف . ا .

يستجشئون حيناً من العمل الدائب والعناء المرحق ، لا يألمون
لسمع البعوض ، ولا ينكرون ربح الوحل ؛ ثم لا يجرى بينهم
إلا الحديث القابض كتضاعف الدين على الأرض ، وتحكم
المالك في الربيع ، وقتك الآفات بالزرع ، وإلحاح الكساد
على القطن ، وماتدخلة تلك الحال على النفس الجاهلة من مساوس
الاطلاع وسخائم الحقد وغوائل الحسد !

اصطلحت على دماهم القليلة جرائم الملايا والبهاريا
والانكلستوما ، ففدوا كواسف الوجوه ، خواسف الجسوم ، خوائر
القوى ، يعالجون المرض بالصبر ، ويخففون الألم بالتسليم ،
ويدافعون الموت بالتعاون ، ويسبثون الظن بالمستشفيات التي
لا تقبلهم إلا بالشفاعة ، ولا تعاملهم إلا بالفظاظة ، ولا تحسن
علاجهم إلا بالمال في العيادات الخاصة ... وأين المال من رجل
كل ما يملكه أجرة يومه لقوت يومه ؟ ولينت هذا القوت كان
من الأقوات التي تصلح الجسم ، وتدفع السقم ، وترد العافية !
إنما هو في الغالب رُغفان من الذرة أو الشخير مآدومة يبعث
أحرار البقول^(١) والبن الملح ...

استقل الملاك ضعفهم ، والمرايون جهلهم ، فوضوا أيديهم
على أختامهم يطبعونها على العقود والصكوك في غير رحمة ولا ذمة ،
حتى إذا انقضى الحول وآل كدح الأسرة الناصبة ، وجهد الماشية
اللاعبة ، وشقاء الفلاح المسكين ، إلى الثمرة المرجوة ، عدا عليها
الدائن اللص ، أو المالك الظالم . نجياها لجبيه ، أو جناها لخزئه
ذلك على الاجمال وصف القرية ، فهل تجد فرقاً بينها
وبين أخصاص الهمج في نشأة الحياة وطفولة الزمن ؟ وتلك هي
على التقريب حال الفلاح ، فهل تجد فرقاً بينه وبين البهيم
الذي لا يصطنع العلم ، ولا يدعى ندنية ، ولا يزعم لنوعه الرقي ؟
فاذا استطاعت هذه الجمعية نشأة أن تجعل من هذه الأقدار
المركومة مسكناً يجعل في العين ويجدى على الصحة ، ومن هذا
الكائن المهمل رجلاً يشعر بالحياة ويسير مع الأمة ، فقد في
نفسك أي واجب تؤدي وأي خير تفيد !! **أحرار الزمايني**

(١) أحرار البقول ما يؤكل منها غير مطبوخ كالهندب والحبس

بالخطابة ، ويحزّون الضمائر بالكتابة ، ويهيئون بالحكومة والقادة
أن يأخذوا من تجميل المدينة لتأثيل القرية ، ومن ترف الباشا
لحاجة الفلاح ، ومن فلسفة الخاصة لأمية العامة ، حتى ارتفعت
حجب الأسماع ، وانكشفت أغشية القلوب ، فعطفت على قضية
القرويين رجالات البلد من أولى الحكم وأهل العلم وذوى المثالة ،
وألغوا من قدرة الشيبية ، وخبرة الكهولة ، دستور العمل المنتج
لإنجاد الفلاح وإسعاد القرية

لعل أنطق الأدلة بخطورة العمل الذي تقوم به هذه الجمعية
الجليلة أن أصف لك قرية أعرف بيوتها كما أعرف بيتي ، وآلف
أهلها كما آلف أهلي ، وستجد حين توازن بين قريتي وقريتك
أنني وصفت على الجملة قرى مصر جميعاً :

كومة من سباخ الأرض قام عليها أكوخ متلاصقة من
الطين^(١) ، سقفوها بالخشب والقصب ، وحملوها بالعلف والحطب ،
وجعلوها بشرقات من الروث اليابس ، ثم جعلوا ظهورها خلاء
للحاجة ، وبطنها مسرحاً عجائبا لشي الأوائف والدواجن من
الكلاب والقطاط والمجول والدجاج والبط ، ثم جمعوا بين قاعة
الانسان وزريبة الحيوان في فناء واحد ، فالحديث يمتزج بالضوار ،
والمضغ يشبه بالاجترار ، والرجل والثور ، والمرأة والبقرة ، والعاقل
والمجمل ، يعيشون سواسية في شيوعية عجز عن تحقيق حلها
(الروس) ! لا يؤدبك إلى هذه الدويرات المعنى مسلك واسع
ولا طريق مشروع ، إنما هي طوائف طوائف ، تفتحت كل
طائفة منها على زقاق ضيق غير نافذ ، ولن تستطيع الدخول في
هذا الزقاق إلا من الطريق الدائر حول القرية !... بلى قد يشق
البلدة منفذ صاعد هابط متعذر متعرج وعمر ، ولكنه بين الفجوات
والخفر يكون أشبه بصراط الحق بين مزالي الفتنة

يركبا من الشمال مستنقع ومن الجنوب مستنقع ، ثم يحيط
بها ويتخلها تلال من السرجين^(٢) والسماد منها الرطب ومنها
اليابس ، وفي أحضان هذه التلال ، وعلى حواف هذه المنابع ، قامت
مجالس القوم ، يجلسون فيها تحت الجدران وفوق المصاطب

(١) اللبن : الطوب الذي لم يحرق (٢) السرجين : الزبل

٤ - كلمة وكليمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لا يَفْشُو الكَذِبُ إلا في الأمِّ الدَّليَّةِ ؛ فإذا فقدوا سُلْطَةَ الحكم واستشعروا في الحياة معنى قدعها، سَلَطُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا يَسْمُلُ الحكمُ عَلَيْهِ لكلِّ ضَعِيفٍ ؛ عَلَى الْمَانِي فِي أَلْفَاظِهَا . . . ولكنَّ هَذَا أَيْضاً كَذِبٌ فِي الْحُكْمِ . . .

إذا رَأَيْتَ قَوْمًا عَمَّهم الكَذِبُ فِي بَابٍ مَا يُفْتَخِرُ بِهِ ، فَاجْمَلْ هَذَا وَحده فِي تَارِيخِهِمْ بَابَ مَا سَقَطُوا بِهِ

تَعَامُ بَعْضُ اللَّذَاتِ فِي الْحِرْمَانِ مِنْ بَعْضِ اللَّذَاتِ

مَا أَسْعَدَ الْعَقْلَ الَّذِي يَتَأَثَّرُ بِبَلَاهَةِ كَالْطِفْلِ ؛ وَلَكِنْ هَلْ يُسَمَّى هَذَا عَقْلاً . . . ؟

الْحُبُّ فِي طَبِيعَتِهِ 'حَقٌّ' عَاقِلٌ ؛ أَلَا تَرَاهُ حِينَ يُنْفِضُ كَيْفَ يَنْقَلِبُ إِلَى الصُّورَةِ الْآخَرَى فَيَكُونُ عَقْلاً أَحْمَقُ ؟

أَشَدُّ الْعِدَاوَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَشَدِّ الْحُبِّ

كَرِهْتُ رَجُلًا فِي الدِّينِ ، وَكَرِهْتُ امْرَأَةً فِي الْحُبِّ ؛ فَكَانَ التَّرَاعُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ كَرِهْتُ كَالْتِرَاعِ بَيْنَ دَيْنَيْنِ لَا بَيْنَ شَخْصَيْنِ

مَنْ أَسْخَفَ مَا رَأَيْتُهُ تَنْبُلُ الْوُظَّافِينَ بِثِيَابِهِمْ وَظَاهِرِ هِيَاثِهِمْ ؛ تَكُونُ وَظِيفَةُ أَحَدِهِمْ سِتَّةَ جَنِيهَاتٍ فِي الشَّهْرِ ، وَهُوَ مَدِينٌ لِلْخِيَاطِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ . . . يَرِدُ أَنْ يَقْلُدَ الرَّئِيسَ الْكَبِيرَ فِي تَقْرِيرِ مَكَانَتِهِ بِجَاهِ الْحُكُومَةِ ؛ فَيَقْرَرُهَا وَلَكِنْ بِجَاهِ الْخِيَاطِ . . .

لَوْ نَاهُ غَنَى فِي الصَّحْرَاءِ وَنَقَدَ زَادَهُ ثُمَّ أَصَابَ رَغِيضًا مُلْتَقًى هُنَاكَ - لَعَرَفَ بِهِ لَذَّةَ الْفَقْرِ ، وَلَأَدْرَكَ أَنَّ أَغْنَى الْفِسْقِ يَعْجِزُ أَنْ يُؤْتِيَ النَّفْسَ مِثْلَهَا . إِنْ إِمَّاكَانَ الْمُتَعَذِّرُ هُوَ وَجُودُ تَامُ

السَّعَادَةُ بِنَفْسِهِ ، وَهَذَا مَا حُرِّمَهُ الْأَغْنِيَاءُ ، وَهُوَ لِلْفُقَرَاءِ كُلِّ يَوْمٍ

قَاعِدَةُ الْحَيَاةِ أَنْ مَا امْتَنَعَ عَلَى الْجِسْمِ مِنْ شَهْوَانَةٍ جَعَلَتْهُ الرُّوحُ مِنْ مَسْرَآتِهَا ؛ فَفِي بَعْضِ الْفَقْرِ نَوْعٌ مِنَ الثَّرْوَةِ ، وَفِي نَوْعٍ مِنَ الْخُرْمَانِ بَعْضُ السَّطَاءِ . وَلَكِنْ أَيْنَ الرُّوحُ الْقَوِيَّةُ الَّتِي تَعْرِفُ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْمَعَامِلَةِ وَتَصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ فِي مَعَامِلَةِ اللَّهِ كَالْأَبْلَهَةِ يُعْطَى مَكًّا بِأَلْفِ دِينَارٍ عَلَى « الْبَاكَ » فَيَحْبِسُهُ وَرَقَةً كَالْوَرَقِ فَيَمِزُّهُ أَوْ يُلْقِيهِ وَيَذْهَبُ بِتَوَجُّعٍ مِنَ الْفَقْرِ . . .

لَا يَجْمَعُ الطِّفْلُ عَلَى نَفْسِهِ هَمَّيْنِ فِي وَفْتٍ مَعًا ، بَلْ يَخْصُرُ نَفْسَهُ فِي الْهَمِّ الْوَاحِدِ لِيُخْرِجَ مِنْهُ أَقْوَى وَأَسْرَعَ مَا اسْتَطَاعَ . وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِلَّا الطِّفْلُ فِي هَوْمَةِ الصَّغِيرَةِ ؟

رُؤْيَا الْكِبَارِ شُجْعَانًا هِيَ وَحدهَا الَّتِي تُخْرِجُ الصَّغَارَ شُجْعَانًا . وَلَا طَرِيقَةَ غَيْرُ هَذِهِ فِي تَرْبِيَةِ شَجَاعَةِ الْأُمَّةِ

يَقُولُ أَهْلُ السِّيَاسَةِ أحيانًا فِي الْاعتِذَارِ إِلَى الضَّعْفِ الْمَسَاكِينِ : أَيُّهَا الْمَقْلُودُ ! إِنْ هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ وَالْمَعْنَى السِّيَاسِيُّ : أَيُّهَا الْبُلْهَةُ ! إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ إِلَّا هَذَا . . .

إِذَا دَامَ مَا أَرَى مِنْ جِمَاعَةِ الشَّرِيقِيِّينَ النَّاظِلِينَ عَنْ أَوْرَبَا ؛ فَتَنْتَقِلُ أَوْرَبَا يَوْمًا عَنْ الشَّرِيقِيِّينَ مَتَى احْتَاجْتَ إِلَى مُخَازِبَتِهَا فِي شَكْلِ هَمَجِي . . .

أَبْلَغُ مَا فِي السِّيَاسَةِ وَالْحُبِّ مَعًا : أَنْ يُقَالَ الْكَلِمَةُ وَفِي مَعْنَاهَا الْكَلِمَةُ الَّتِي لَا تَقَالُ . . .

الْحَرْبُ تَصْحِيحُ خَطِّهَا وَقَعٌ فِي السَّلَامِ أَوْ لَمَّا يَزْعُمُهُ الْقَوِيُّ خَطًّا وَقَعٌ . فَلَنْ تَنْتَفِيَّ هَذِهِ الْحَرْبُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمَ تُرْبَى الذَّنَابُ تَرْبِيَةً خُرُوفِيَّةً . . .

لَا فَرْقَ بَيْنَ زَوْجَةٍ وَجَارَةٍ فِي دَارٍ ، إِنْ لَمْ تَجْعَلِ الزَّوْجَةَ

دارها في الزينة والمرح كأنما هي متروجة أيضاً

طبيعة المرأة بفنّها منزليةٌ حجابيّة . والدليل على ذلك وضعُ امرأةٍ جميلةٍ تعملُ في مصنعٍ فيه رجال . فطبيعتها بفنّها لا تجعلها حينئذٍ إلا بين اثنتين : إما أن تُطرَدَ من بينهم ، وإما أن تكون بينهم كالزوجة . . .

يمثلُ النساءُ الغالباتُ في المطالبة بحقوق المرأة فضلاً من رواية العاطفة في شكل فصل من الحق ؛ يُردن الطاردة والسلام . . .

كن الرجل في معانيه القوية فلن تجد المرأة معك إلا في أقوى معانيها

وَدِدْتُ والله لو أمكن أن يجتمع الطالباتُ بحقوق المرأة على زعيمةٍ واحدةٍ يحترنها من نساء العالم كله ؛ فلن تكون هذه الواحدة إلا المرأة التي يستحيل أن يتزوجها رجلٌ في العالم

قضت الطبيعة قضاءها : أن سعادة المرأة في أن تكون هي سعادة لغيرها ؛ ففساه المعامل والحوادث هن . . . هن والله الشريكات المتصليكات

أنا مستيقن أن العلم سينتهي إلى إثبات هذه القضية : إن المرأة مريضةٌ بأنها أنثى

الخطأ والمرأة : كلاهما أكبرُ منه أن يظهرَ ويطلب . . . طلبَ الخليفةُ النصورُ إماماً زاهداً عظيماً ليؤتياه القضاء . فلما دخل الإمامُ قال للمنصور : كيف حالك ، وكيف عيالك ، وكيف حميرك . . . فقال أخرجوه فانه مجنون

كذلك يضطرُّ الرجلُ العظيمُ أن يخرجَ أحياناً على عقلٍ سواء ليخرجَ بعقله هو

الفيلسوفُ الحقُّ هو الذي ينتهي من نفسه إلى موضعٍ عقليٍّ يكون فيه مع الحياة كما يكونُ القاضي في موضعه العقلي مع الحوادث : تأنيه ليحكمَ عليها لا لتحكمَ عليه

قلّة الرغبات هي قلّة هموم

استنطاد

عندما انتهيتُ إلى هذا الموضع من تصنيف هذه الكلمات ، أتيتُ إلى كتابٍ ورد من مدينة « رخص » يذكر فيه صاحبه شيئاً وشدة ويسأل : « ماهو علاج الملل النفساني واليأس الديني ، إن لم يكن الموت ، إن لم يكن الانتحار ؟ »

ثم يرجو أن يتولاه أول عدد ينتهي إليه من (الرسالة) كيلا يئس على نفسه ؛ وهأنذا أعجل له كلماتٍ تأتي على أثرها إن شاء الله في العدد التالي مقالة الانتحار

كان عُمرُ بن الخطاب - وفي يده الدنيا - يشتري الشهوة من الطعام ثمنها درهم ، فيؤخرها سنة . يُثبت لنفسه بذلك أنها نفسُ عُمر

ليس الذي ينتحر هو صاحب النفس العاملة بإيمانها ؛ فإن هذا تنتحرُ شهواته ، ومطامعه ، وخسائسه

الانتحارُ كفر صريحٌ بالدينا والآخرة ؛ فاليأس وهو بفكر أن ينتحر إنما يقولُ لله بلفظ فكره : إنك عاجز

أنت عجزتَ أيها الإنسان فأيقنتَ أنك لا تستطيعُ أن تُشعرَ أطوارَ الدنيا ؛ ولكن كيف نسيتَ الذي يستطيع أن يغيرها وهو يغيرها كل طرفة عين ؟

لا يمكن أن تُرضيك الدنيا كلها أحببت ولا بكل ما تحب ، فليست أنت العاصمة في مملكة الله ؛ ولكن المكن أن ترضى أنت بما يمكن

لقد عجزتَ أن تنال شيئاً فتملؤ به درجة ؛ أمعجزتَ أن تستغنى عنه فتزل درجة ؟

في الأرض ناسٌ على أطباقٍ بين الملك إلى الزبال . أفيجتمع الزبالون جميعاً في مجزرٍ لينتحرُوا إذ لم يكونوا ملوكاً ؟

ليست الدنيا بما فيها هي التي ترفعك عند نفسك أو تخفضك ؛

ربيع الغوطة

للأمير مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي ومدير أملاك الدولة بدمشق

جلست في الدار في سفح « قاسيون »^(١) أجبل
الطرف في أرجاء الغوطة الفيحاء ، وقد ازبنت للرياح وتبرجت
وتجلت فتنة للناظرين . وجرت مياه بردى ومشتقاه صخابة
جرافة ، قد يحسها شتاء هذه السنة المطار ، بمد أن لبثت
ثلاث سنين لاصقة من الجفاف بأرض النهر ، وهي تقتنض
وتتموز كأنها ترتقب من يدفعها إلى جنان الغوطة دفعا ؛ ودبت
الحياة في الأشجار النيباء ، فأرسلت عساليها تقتشق أنفاس
الربيع العلية ، واطالت غماليها^(٢) تستقبل أشعة الشمس المنعشة ،
ونشرت أوراقها نهبي للدرج وسائل الحياة وغضارة العيش
وبشر اللوز باقبال الربيع فنور . وأعقبه الشمس فاشتمل
زهراً وتضوع عطرا ، وملأ جو الغوطة بهجة وإشراقا . وغار
التفاح والكشمري والخواخوش فعمد إلى الأزهار ، وتلاأن بالنوار ،
وسكر الصفصاف المستحي فدل أغصانه وتمايل ، وانتصب الحور
فصمر خده وتناقل ، وعربد الجوز الدواح فنثر هراجه^(٣)
ذات اليمين وذات الشمال ، وترزّن السرو الجبار للتشائم وصاح
قائلا كلنا للزوال . وابتمس الزيتون بأوراقه الأخضر الحاتئة ، وقد

(١) جبل دمشق المصروف عليها وعلى الغوطة

(٢) جمع مخلوج ، وهو الفصن الناعم من النبات

(٣) نورة الجوز وأصراجه

بل فكرك بما يكون فيه هو يخفصك أو يرفك . ومن الذي
ملا فكرك غيرك ؟

سر سعادة المؤمن على ما يجد من الفقر والشقاء في هذه
الحياة ؛ أن في ضميره من فكرة الآخرة وجودا إلهيا عظيما فيه
الرضى الدائم عن الله ، والصبر الدائم على قضاء الله ، والأمل
الدائم في رحمة الله . فكل حرمان الدنيا يذهب في الرضى فلا
حرمان ، وكل مصائبها تقع في الصبر فتتحول مآلها ، والأمل
الدائم في رحمة الله قوة للقوتين

(طنطا)

مصطفى الشهابي

نحرت أرومته السنون ، وكسر فروعه الدهر الطحون . أما
الرمان فلبث عارى الجسد ينتظر الدفء ، فما ازدحم بنوره ، ولا
أشعل الجو بناره^(١)

وجن جنون النباتات البرية ، فنبتت بين الزروع وعلى
صفا الجداول وفي كل أرض سبخة أو باثرة ، فالخردل هجم
على الحنطة فكساها من زهره حلا صفرا ، والزرجس نجم في مياه
الناقع وتر فوقها درأ وتبرأ ، وبدت شقائق النعمان بألوانها
الزاهية ، وتجلت الخشخاش بحمرته القانية ، وتضوع البابونج
والأقوان ، واستسرا تحت جنية^(٢) الآس والرمان

وشاركت الطير النبات فهبت تنفرد بشتى الألحان ، وتراقص
في كل مكان . فن سمانيات تغفلن بين الزروع خشية الصيادين ،
وشحارير سود الجلايب إن طارت هتفت ، وإن استقرت
صدحت ، وستونوات لا يرحن في السماء مدومات ، أو على
البعوض هاويات ، وأنواع المصافير ، في زفرقة وصغير ، كأنها تشكر
لباعث الغيث آلاء المطر ، وكأنها تدعو الإنسان إلى الأخضرين ،
لينعم بهما قرير العين

جلست في الدار أدير الطرف بجنان الغوطة وقراها ، فبدت
عن عيني رياض « النسييريين » ، فذكرتني بأبيات وجيه الدولة
ابن حمدان :

سقى الله أرض الغوطين وأهلها فلي بجنوب الغوطين شجون
فأذكرتها النفس الاستخفي إلى برد ماء النسيير بين حنين
وقد كان شكي للفراق بروعي فكيف يكون اليوم وهو يقين ؟
وبدت جنوبها بساتين داريا فقلت مع الصنوبري :

ونعم الدار داريا فقيمها صفالي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء أعاطها الهوى ظيبا فظبيا
والتفت إلى دمشق فاذا بها غرق في خضم أخضر كأنها
ياقوتة في نثر من الزمرد ، وبرز الجامع الأموي عظما جبارا
بمآذنه الشاهقة وقبته المالية التي قال فيها نابغة بني شيان من
قصيدة غراء وصف بها ذلك الجامع الكبير :

وقبة لا تكاد الطير تبلغها أعلى محاريبها بالساج مسقوف
لها مصابيح فيها الزيت من ذهب يضي من نورها البنان والسيف
قلت رحم الله نابغة بني شيان ! فلو عاش في أيامنا هذه لا في
أيام بني أمية لقال :

(١) لأن زهر الرمان مشخار

(٢) الجنة صغار الشجر لا يعظم جرمها وإن شاخت

عصر الخفاء في مصر الإسلامية

الحاكم بأمر الله

- ٣ -

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان الحاكم بأمر الله صبياً في نحو السادسة عشرة حيناً بدأ يضطلع بمهام الدولة على هذا النحو ؛ بيد أن هذا الفتى القوي النفس ، كان حاكماً حقيقياً يقبض على السلطة بيديه القويتين ؛ ويشرف بنفسه على مصائر هذه الدولة العظيمة ، ويبدى في تدبير شئونها نشاطاً مدهشاً ، فيباشر الأمور في معظم الأحيان بنفسه ، ويتولى النظر والتدبير مع وزرائه^(١) ؛ وهكذا كان الأمير اليافع يؤثر العمل المضي على بحالي اللهو واللعب التي يفر تيارها من كان في سنه ، وفي مركزه وظروفه ؛ وقد لزم الحاكم

(١) راجع ابن الصبري - الإشارة إلى من ناله الوزارة من ٢٦

لحامصايح فيها الكهر باسطلت بضياء من نورها لبنان والسيف ورق النسيم وراق الجو ، فتذكرت قول القائل :
يا نسيها هب مسكاً عبقاً هذه أنفاس ربياً جليلاً
لكنني ماكدت أنشق هذه الأنفاس العطرات وأعرق في بحر من التأملات حتى فتح الخادم مذباغ مصر فأسمنى ألماناً شجية حملها أنفاس القاهرة الكهربائية ، فذكرت شتاء مدينة المز وعهدى به قريب ، ورددت قصيدة لي ودعت بها تلك المدينة الساحرة ، منها الأبيات الآتية في نبات النيل :

أواء يا نبات النيل ساجية كم ضحك الصدر شهيقاً وقاراً
وكم تمطرت بالريحان وامتزجت رباك بالروض أفناناً وأزهاراً
مالان نشقتك حتى خلت منتشكاً ماء الحياة جرى في الجسم أنهاراً

وخفق القلب لشتاء مصر ولربيع دمشق معاً ، فكلاهما ساحر جذاب ، وكلاهما مجتلي ذكريات عذاب ، وفي البلدين رفاق وصحاب ، وأهل وأحباب ، وفيهما للثقافة العربية أفسح رحاب دمشق مصطفى الشراي

هذا النشاط المضي طوال حياته . وكان الحاكم ذا بنية قوية متينة ؛ وكان منذ حداثة يتمتع بمظهر الجبارة : مبسوط الجسم ، هيب الظلمة ، له عينان كبيرتان سوداوان تمازجهما زرقة ، ونظرات حادة مروعة كمنظرات الأسد لا يستطيع الإنسان صبراً عليها ؛ وله صوت قوى مرعب يحمل الروح إلى سامعيه ؛ وقد كان في الواقع سليل نسل من الجبارة الصحراويين الأقوياء ، الذين يذهبون في زهرة العمر والقوة^(١) ؛ وكان أبوه العزيز بالأنفاس عظيم القامة عربيض المنكبين قوى التكون^(٢) ، فورث عنه ولده هذه الخواص الطبيعية البديعة ، ولم يبددها في شهوات النفس التي ينغمس فيها أبناء القصور

وهنا يبدأ عصر الحاكم بأمر الله حقاً ، وهو أغرب عصر في تاريخ مصر الإسلامية ، وربما كان أغرب عصر في تاريخ الإسلام كله ؛ عصر يمازجه الخفاء والروح ، وتطبعه ألوان من الاغراق والتناقض مدهشة مثيرة معاً ؛ ولكن هذه الألوان الخفية المفرقة ، وهذه النواحي الثابتة هي التي تسبغ على العصر أهميته وطرافته ، وهي التي تحيط بشخصية الحاكم بحجب كثيفة من الظلمات يصعب اختراقها . ويحسن قبل أن نعرض إلى درس هذه الشخصية العجيبة وقبل أن نحاول استجلاء غوامضها ، واستقراء حقيقتها ، أن نستعرض أولاً أعمال الحاكم وتصرفاته ، وحوادث العصر وظروفه ؛ ثم نحاول على ضوءها أن نتفهم روح العصر ، ونفسيه تلك الشخصية الفريدة التي أفاضت عليه من خفائها وروعها ، وملأته بنشاطها ونزعها وأهواها ، وتبوأت فيه المقام الأشمى

- ٥ -

تقدم الرواية الإسلامية البنا الحاكم في صور مروعة مثيرة ؛ فتقدمه البنا أولاً في صورة جبار منتقم ، وسفاك لا يخجو ظمؤه إلى الدماء ؛ ثم تقدمه البنا في صورة طاغية مضطرم الأهواء والنزعات ، متناقض الرأي والتصرفات ، لا تكاد تلمس لأعماله باعثاً أو حكمة ؛ شرساً جوحاً ، ميالاً إلى الشر ، خؤوناً وافر القدر ، لا يستقر على ثقة أو صداقة ؛ وتقدمه البنا على العموم

(١) يلاحظ أن العزيز أبا الحاكم توفي في الثالثة والأربعين ، وأن جده المز توفي في السادسة والأربعين ، وأن النصور والد للمز توفي في الثانية والأربعين (راجع القرظي ج ٢ ص ١٦٣ و ١٦٧)

(٢) ابن الأثير ج ١ ص ٤٠

البأس والعصبية ، وهي رغبة يدل عليها كما سنرى في مواطن كثيرة ؛ وكانت كرامة أقوى القبائل المغربية كما قدمنا ، وكان ابن عمار أقوى زعماء الدولة . ولكن سنرى من جهة أخرى أن الحاكم يسرف في القتل ، فيقتل وزراءه وعلماؤه نباهاً ، دون حكمة ظاهرة إلى ما كان من نزعة مؤقتة أو سخط لحظي

وفي سنة ٣٩٣ هـ قتل الحاكم وزيره نهد بن إبراهيم بعد أن قضى في منصبه زهاء ستة أعوام ، وأقام مكانه علي بن عمر العداس ، ولكن لم تمض أشهر فلائيل حتى سخط عليه وقتله ، وقتل معه الخادم ريدان الصقلي حامل المظلة ، ثم قتل عدداً كبيراً من الفلماني والخاصة ^(١) (سنة ٣٩٤) ، ثم تبع ذلك بمقتلة أخرى كان من ضحاياها الحسين بن النعمان الذي شغل منصب القضاء منذ سنة ٨٩ ، وعدد كبير من الخاصة والعامة ، قتلوا أو أحرقوا ^(٢) ؛ وقتل جماعة من الأعيان صبراً ^(٣) ؛ ولم يك ريب في أن هذه المذابح التوابلية كانت عنوان نزعة خطيرة إلى البطش والفتك واحتقار الحياة البشرية ؛ وكان أشد الناس تعرفاً لهذه النزعات الخطيرة ، أقرب الناس إلى الحاكم من الوزراء والكتاب والفلماني والخاصة ، ولم يكن السكافة أيضاً بمنجاة منها ، فكثيراً ما عرضوا للقتل الذريع لأقل الريب والذئب ، أو لاتهمهم بمخالفة المراسيم والأحكام القرية الصارمة التي توالى صدورها في تلك الفترة . وكان رجال الدولة ورجال القصر وسائر العمال والمتصرفين يرتجفون رعباً وروعاً أمام هذه الفورات الدموية ؛ وكان المجتمع القاهري ، ولاسيما التجار وأرباب المصالح والمعاملات يشاطرونهم ذلك الروع ؛ ويروى لنا السبحي صديق الحاكم ومؤرخه فيما بعد ، أن الحاكم أمر في سنة ٣٩٥ بعمل شونة كبيرة مما يلي الجبل ملئت بالسنتط والبوص والحلفا ، فارتاع الناس وظن كل من له صلة بخدمة الحاكم من رجال القصر أو الدواوين أنها أعدت لاعدائهم ، ومرت في ذلك اشاعات خفيفة ، فاجتمع سائر الكتاب وأصحاب الدواوين والمتصرفين من المسلمين والتصارى في أحد ميادين القاهرة ، ولم يزالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر ، فوقفوا على بابه يضجون ويتضرعون ، ويسألون

في ثوب شخصية بغيضة خطيرة ، فاقدة الرشاد والتعقل ، يغلب عليها الجانب الأسود ؛ ولكنها مع ذلك لا تنكر عليه بعض نواحي الخير والخلل الحسن ، فتصفه لنا بالجود والتشف والزهدي في كثير من منافع الحياة الدنيا

« كانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام ، وجبن وإحجام ، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء ، وميل إلى الإصلاح وقتل الصلحاء ؛ وكان الغالب عليه الإصلاح ، وربما نخل بما لم يخل به أحد قط » ^(١) . « وكان جواداً ، سمحاً ، خبيثاً ما كراً ، ردي الاعتقاد ، سفاكاً للدماء ، قتل عدداً كبيراً من كبراء دولته صبراً ؛ وكان عجيب السيرة يخترع كل وقت أموراً وأحكاماً يحمل الرعية عليها » ^(٢) . « وكان حاله مضطرباً في الجور والعدل ، والاخافة والأمن ، والنسك والبدعة » ^(٣) . في هذه الصور وأمثالها تقدم الرواية الإسلامية إلينا الحاكم ؛ ولا ريب أن في حياة الحاكم وفي أعماله وتصرفاته ما يبرر كثيراً من هذه الأوصاف الثيرة ؛ غير أنها ليست كل شيء في هذه الحياة العجيبة الغامضة ؛ ومن الخطأ أن نقف عندها في تصوير الحاكم والحكم عليه ، ومن الواجب أن نتقصى في حياة الحاكم جوانب أخرى ، وأن نحاول تفهم شخصيته ونفسيته على أضواء أخرى افتتح الحاكم عهد حكمه بقتل برجوان وصيه ومدبر دولته ؛ وكان للجريمة باعث سياسي قوى ؛ فلم تكن يومئذ دليلاً على حبه للسفك أو ظمئه إلى الدم ، غير أن الحاكم ما لبث أن أتبع ضربته بضربة دموية أخرى هي مقتل ابن عمار زعيم كتامة وأمين الدولة السابق ؛ وكان الحاكم قد سمح من برجوان وأطلق له رسومه وجرياته ، وأذن له بالركوب إلى القصر ؛ ففي ذات مساء ، حين انصرافه من القصر ، انقض عليه جماعة من الفلماني الترك كانت قد هيئت للفتك به ، فقتلوه وحلوا رأسه إلى الحاكم (شوال سنة ٣٩٠) ^(٤) ولم تكن للجريمة بواعث ظاهرة ، ولكننا نستطيع أن نملأها رغبة الحاكم في سحق الزعماء ذوي

(١) ابن قزوين في مرآة الزمان (راجع النجوم الزاهرة ٤ من ١٧٦)

(٢) ابن خلكان (ج ٢ من ١٦٦) والذهبي (راجع النجوم الزاهرة

٤ من ١٧٨)

(٣) ابن خلدون (ج ٢ من ٦٠)

(٤) القرطبي (ج ٣ من ٥٨)

(١) القرطبي — ج ٤ من ٦٩

(٢) القرطبي ج ٣ من ٣٢

(٣) النجوم الزاهرة (ج ٤ من ٢١٢)

عفا عنهما وأعيد عبد العزيز إلى منصبه ، ولكنهما لم يطمئنا إلى هذا العفو الريب ، فقرا بأسرنيهما ، فأمر الحاكم بمصادرة أموالهما ، وسير الخيل في طلبهما ، وأنفذ إليهما كتب الأمان ؛ فعادا إلى القاهرة بعد أن استوثقا من الخليفة بالأمان والعفو ، واستمرا يركبان إلى القصر مدى حين ؛ وفي ذات يوم استبقيا بالقصر « لأمر تريده الحضرة » ثم قتلان فجأة (١٢ جمادى الآخرة سنة ٤٠١ هـ ، وسودرت أموالهما ، وعاد الحاكم بعد ذلك فأمّن أولاد القتيلين وخلع عليهم ^(١))

واليك طائفة أخرى من حوادث القتل والسفك التي أمّن فيها الحاكم : في سنة ٣٩٩ هـ ، قبض الحاكم على جماعة كبيرة من الفلّان والكتاب والخدم الصقالبة بالقصر ، وقطعت أيديهم من وسط الذراع ثم قتلوا ، وقتل فضل بن صالح من أعظم قواد الجيش وفي العام التالي وقتت مقتلة أخرى بين الفلّان والخدم ، وقتل جماعة من العلماء السنة ^(٢) ؛ وقبض على صالح بن علي الروذبادي لأسابيع قلائل من عزله ، وقتل ؛ وعين مكانه ابن عبدون النصراني ، ثم صرف وقتل لأشهر قلائل ؛ وخلفه أحمد بن محمد القشوري في الوساطة والسفارة ، ثم صرف لأيام قلائل من تعيينه وضربت عنقه (سنة ٤٠١ هـ) . وللاحاكم قصة دموية مروعة مع خادمه غين وكاتبه أبي القاسم الجرجاني ، وكان غين من الخدم المعقابة الذين يؤثروهم الحاكم بعطفه وثقته ، فمينة في سنة ٤٠٢ هـ للشرطة والحسبة ولقبه بقائد القواد ، وعهد إليه بتنفيذ المراسيم الدينية والاجتماعية ، وعهد بالكتابة عنه إلى أبي القاسم الجرجاني وكان الحاكم قد سخط على غين قبل ذلك ببضعة أعوام وأمر بقطع يده فصار أقطع اليد ؛ ثم سخط عليه كرة أخرى وأمر بقطع يده الثانية فقطعت وحملت إلى الحاكم في طبق ، فبعث إليه الأطباء للعناية به ووصله بمال وتحف كثيرة ؛ ولكن لم تمض أيام قلائل على ذلك حتى أمر بقطع لسانه ، فقطع وحمل إلى الحاكم أيضاً ، ومات غين من جراحه (جمادى الأولى سنة ٤٠٤ هـ) ، وأما أبو القاسم الجرجاني فقد أمر الحاكم بقطع يديه لوشاية صدرت في حقه ، ولكنه أبقى على حياته ، وعاش أقطع اليدين ^(٣)

العفو عنهم ؛ ثم دخلوا القصر ، ورفعوا إلى أمير المؤمنين عن يد قائد القواد الحسين بن جوهر رقعة يلتمسون فيها العفو والأمان فأجابهم الحاكم على لسان الحسين إلى ما طلبوا ؛ وأمروا بالانصراف والبكور لتلقى سجل العفو . واشتد الذعر بالفلّان والخاصة على اختلاف طوائفهم ، فضجوا واستقنوا وطلبوا العفو والأمان فأجيبوا إلى ما طلبوا ؛ وتبعهم في الاستغاثة التجار وأرباب المهن والحرف ؛ وتوالى صدور الأمانات لمختلف الطوائف ؛ وقد أورد لنا السبحي صورة أحد هذه الأمانات ونصها : « هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لأهل مسجد عبد الله : إنكم من الأمنين بأمان الله الملك الحق المبين ، وأمان جدنا محمد خاتم النبيين ، وأميننا على خير الوصيين ، وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين ؛ وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال ، لاخوف عليكم ولاعدي بسوء اليكم ، إلا في حد يقام بواجبه ، وحق يؤخذ بمستوجبه فيوثق بذلك ، وليعمل عليه إن شاء الله تعالى ؛ وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة . . . الخ » ^(١)

وهكذا هبت على المجتمع القاهري ريح من الرهبة والخشوع ، وأصبح اسم هذا الخليفة الفتى الذي لم يجاوز يومئذ العشرين من عمره ، وأصبحت زعامة وتصرفاته مثار الرعب والروع . ولم يك ثمة ريب في أن القتل كان في نظر الحاكم خطية مقررة ، ولم يكن فورة أهواء فقط ؛ وقد لزم الحاكم هذه الخطة الدموية طول حياته ؛ ووقعت في الأعوام التالية حوادث ومناظر من القتل الذريع لانهاية لها ، وكانت تقتن أحياناً بضروب مروعة من القسوة ، ولما كان ينادر الحكم وزير أو كبير من كبراء الدولة إلا مسفوك الدم ، وفي الأحوال النادرة التي كان ينجو المزعول فيها بحياته ، كانت تلازمه نقمة الحاكم حتى يهلك . ففي شعبان سنة ٣٩٨ هـ عزل قائد القواد الحسين بن جوهر ، وعين مكانه صالح بن علي الروذبادي ولقب بثقة ثقات السيف والقلم ؛ وبعد أسابيع قلائل أمر الحاكم الحسين وصهره قاضي القضاة عبد العزيز ابن النعمان بلزوم دارهما ؛ ثم أمر بالقبض عليهما ، ففر الحسين وقبض على عبد العزيز ؛ واضطربت القاهرة لمكانة الحسين ، ثم

(١) القريري - ج ٣ ص ٢٣ ، ٢٤

(٢) القريري (ج ٤ ص ٨٨)

(٣) النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٢٢٣)

(١) القريري - ج ٣ ص ٣٢ ، ٣٣

روح المدرسة الانجليزية

الحديثة^(١)

لأستاذ محمد عطية الابراشي

الفتش بوزارة المعارف

إن الزائر الغريب لمدرسة انجليزية حديثة لأول مرة يلاحظ على الأطفال شيئين :
أولاً : النشاط والاستعداد للعمل
ثانياً : السعادة

فالتلاميذ مملوون نشاطاً ، وحياتهم كلها بهجة وهناءة ؛ وجوه ضاحكة مستبشرة ، تملأ المدرسة بشراً وسروراً ؛ والجو المدرسي كله حياة ويقظة وانتباه ، وحب للعمل واستعداد لاداء الواجب ، يتمثل فيه روح الوفاء والاخلاص والعناية والدقة في العمل ، والتعاون بين النظار والمدرسين والتلاميذ . هناك لا تجد تلاميذ يتظاهرون بالعمل وهم لا يعملون ، أو يصغون وهم يتناهبون ، لا ترى من يحل مسائل حسابية بطريقة آلية من غير ما تفكير ، أو من ينقل قطعاً إنشائية ، أو كلمات إملائية لا يدرك لها معنى

هناك يشتغل الطفل بمقله وبده ؛ فلا يكتفى بتعلم النظريات ، بل يشتغل أيضاً بكثير من الأعمال اليدوية ، ويعطى مقداراً (١) من كتاب « نظام التعليم في إنجلترا » تحت الطبع

وفي سنة ٤٠٥ هـ قتل الحاكم قاضي القضاة مالك بن سعيد الفاروقى ، وقتل الوزير الحسين بن طاهر الوزان ، وعبد الرحيم ابن أبي السيد الكاتب ، وأخاه الحسين متولى الوساطة والسفارة ؛ وقلد الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ، ثم قتله لأيام قلائل من تعيينه . وهكذا استمر الحاكم في الفتك بالوعماء ورجال الدولة والكتاب والعلماء حتى أباد معظمهم ؛ هذا عدا من قتل من الكافة ، خلال هذه الأعوام الرهيبة ، وهم ألوف عديدة ما

(للبحث بقية)
(النقل ممنوع)
محمد عبد الله عثمان
الحامى

من الحرية في العمل ، يعمل على حسب قواه العقلية ، وله رأى خاص به . هناك يعتمد الطفل على نفسه في كل عمل مع الاستعانة بمدرسه وإرشاداته عند الحاجة . قد يحل المشكلة خطأ ، ولكن المهم أنه حاول أن يعمل ، وعمل برغبة ، وترك له الفرصة في التفكير ، وفي رسم الخطط وتدبير الوسائل

واقد حدث في إحدى المدارس الحديثة للبنات أن معلمة من الملمات اضطرت الى الذهاب الى المستشفى يوماً ما ، فرأت رصيفة لها أن الواجب يقضى بمصاحبتها ؛ وكانت ناظرة المدرسة على فراش المرض ، ولسوء الحظ قد حدث لرابعتهن وهى في طريقها الى المدرسة ما أوجب تأخيرها نصف ساعة عن اليعاد ؛ وعلى هذا بقيت المدرسة ولاناظرة فيها ولامدرسة . فلما دخلت الأخيرة المدرسة وجدت كل البنات في أماكنهن ، يعملن بنظام ، فلقد نظر بعضهم في جدول أوقات الدروس ، واخترن من التلميذات من يستطعن التعليم في السنين الأولى من المدرسة ، وأخذت البقية تعمل بنفسها . فكان كل فصل يسير في عمله بنشاط كالعادة ، ولم يحدث من إحداهن ونية (١) أو تقصير في العمل ، وكان النظام مستتباً . فمثل هذه الحادثة تبرهن على أن روح المدرسة الحديثة هى : روح التعاون ، والاعتماد على النفس ، وحب العمل ، والفخر بالمدرسة ، والاخلاص لها ؛ وهذه الروح وتلك المبادئ وحدها تكفل نجاح أى مدرسة من المدارس ، وتغنى عن استعمال الثواب والعقاب ، والنافسة في المدرسة

فالتلاميذ بالمدرسة الانجليزية مقتبطون بمدرستهم ، يستنفدون جهدهم ، ويبدلون كل ما فى وسعهم في سبيل تقدمها . محال أن يتمنوا الرفعة على أكتاف غيرهم ، يعمل الكل لمصلحة الكل وينسى نفسه . ومن أظهر منهم مقدرة ومهارة في أمر ما فكافأته أن يسمح له بمعاونة غيره من الضعفاء أحياناً

مثل من المدارس الريفية الانجليزية بالإنجلترا

من المدارس التى رأيتها مدرسة ريفية ابتدائية داخلية تقبل التلاميذ بعد الانتهاء من قسم الأطفال . فيها يستيقظ التلاميذ مبكرين ، فيرتب كل منهم سريره ، وينظفون معاً حجر النوم .

(١) الونية : التعريط والاحمال في العمل

ثم يخرجون للرياضة في جهات خاصة . فأوقاتهم منظمة ،
موزعة بين العمل واللعب ؛ يلعبون حيث يجب اللعب ،
ويعملون حيث يجب العمل . ويجتهد ناظر المدرسة في ألا يترك
لأى تلميذ الفرصة في أن يفكر في أعمال شيطانية ، فيدعه يشغل
بأى عمل من الأعمال ، حتى لا يفكر في أى عثر أو إفساد في
المدرسة

إن الشباب والفراغ والحيدة مفسدة للمرء أى مفسدة
وإن دروس مشاهدات الطبيعة ، والجغرافيا ، والتاريخ
كثيراً ما تكون في الخارج على شاطئ نهر أو في حديقة ، أو
زيارة لدار آثار ، أو حصن ، أو كنيسة قديمة . وفي كل أسبوع
يختار بعض تلاميذ المدرسة لزيارة مدرسة أخرى ، لتكثرتجارهم
ويروا أشياء ربما لم يروها من قبل في مدارسهم . وبذلك يتبادل
المدارس الزيارات في يوم من أيام الأسبوع

وكثيراً ما يقف ناظر المدرسة ليشاهد التلاميذ وهم يشتغلون
في حديقة المدرسة ، ولا يعزب عنه شئ في مدرسته ؛ فهو خير
بكل تلميذ ، وبالظروف المحيطة به ، وبنقط الضعف فيه ، وبوسائل
الملاج . فيمكنه أن يقول إن (جاك) قوى لأن أمه كثيرة
العناية به . أما (جان) فضعيف لأنه لا يجد ما يكفيه من الغذاء ،
وهذا جيد في التاريخ ، وذلك يحتاج إلى العناية بالحساب ، وهكذا
والمدرسون يعتبرون تلاميذهم أبناء يفكرون فيهم كما يفكرون
في أبنائهم . ففي تلك المدرسة وفي معظم المدارس الانجليزية تجد
التلميذ محباً للألعاب الرياضية ، كثير المعلومات ، ناضج الرأي ،
مرتب الفكر ، بعيد النظر ، قوى الملاحظة ، يستطيع التعبير
عما في نفسه ، يحب النظام ، والدقة في العمل . يعرف معنى
الطبيعة ، ويقدر ما فيها من حياة وجمال ، ويمكنه القيام بكثير
من الأعمال ؛ وهذه نتائج العناية بالطفل في المنزل والمدرسة
والبيئة ، نتيجة العناية بالتربية العملية لاعداد كل فرد
للحياة الكاملة محمد عظيم البراشي

نصريب

وقع في مقال الأستاذ المازني المنشور في العدد الماضي المتاز خطأ مطبعي
لا ينبغي أن تنقله وهو إسقاط الياء من (عبيد الله بن عمر) جاء اسمه
مكرراً في المقالة (عبد الله بن عمر) والصواب انباتها

وبعد ارتداء الملابس يقوم بعضهم بمساعدة الطاهية في إعداد
الطعام ، أو في إعداد المائدة وتنظيمها . وبعد تناول طعام الافطار
يساعدون في تنظيف الآنية وتنشيفها

ومدة الدراسة النظرية في الصباح أربع ساعات . وبعد الظهر
يشتغل التلاميذ بالزراعة في حديقة المدرسة ، أو بالتجارة في
حجرة التجارة التي يقوم بالتعليم فيها أحد التجارين . وفي هذه
المدرسة تظهر روح التعاون بأجلى معانيها : فمن التلاميذ من
يقوم بإصلاح ما يحدث في بناء المدرسة من خلل ، ومنهم من
يكوى الملابس ، ومنهم من يخطط ما يحتاج إليه من دق ، وهكذا
وتشغل بالمدرسة حديقة كبيرة ، تبلغ مساحتها ثلاثة أفدنة ،
بها قسم لتربية الطيور والحيوانات الداجنة ، ويتولى بعض
التلاميذ إطعامها والعناية بها . ويقوم التلاميذ أنفسهم بزرع
ما أمكن من أنواع الخضر والفواكه والأزهار في تلك الحديقة ،
وبهذه الوسيلة تستطيع المدرسة أن تستغني عن شراء كثير من
المواد الغذائية وغيرها . وتجمع بين التعليم النظري والعمل

أو الصناعي فتفتح كثيراً من السبل أمام كل تلميذ حتى تنتفع
بمبولة ، وتعرف ما يرغب فيه من الأعمال ، فتوجهه حيث يحب ،
ويختار له من سبل الحياة ومن المهن والصناعات ما يتفق مع
ميوله الطبيعية . فالمدرسة تعطيه الفرصة في أن يعرف شيئاً عن
التجارة ، والزراعة ، والحياكة ، والكي ، والبناء ، والرسم ،
والتصوير ، والموسيقى ، بجانب المواد المدرسية الأخرى . وهذه
هي التربية

ولا يسمح لأحد من التلاميذ بأكل شئ من فواكه الحديقة
في غير مواعيد الأكل . ومن يخالف ذلك يحرم هذه الفاكهة
حتى ينتهي فصلها . وهذا عقاب طبيعي ؛ لهذا لا يجرؤ أحد أن
يقطف شيئاً من الحديقة . ولكل تلميذ صوان خاص به ، يضع
فيه أدواته . وللناظر وحده الحق في الاطلاع على ما به

وبعد تناول الشاي يسمع التلاميذ اللاسلكي ، أو يتعلم
بعضهم العزف على العزف (البيانو) ، ويلعبون ألعاباً رياضية
ككرة المضرب

وفي يوم الأحد يذهبون صباحاً إلى الكنيسة مع أساتذتهم ،

محاضرة فنية:

في الشعر...

للمسيو پول فاليري

عضو المجمع الفرنسي

عزمه وتلخيص لمؤستاذ محمد روصي فيصل

سيداتي وسادتي :

حديثنا اللبلة إليكم في الشعر ! والموضوع دائر كما تعلمون الآن في كثير من الصحف والمجاس ، ولعل الغرابة أن ينال الشعر الاهتمام ويُبدل للفن الجهد في زمن مادي أخذته الواقعية المحسوسة ، وطفئت عليه الوضعية العلمية ، وسادت فيه الفكرة الاقتصادية !

لشعر في الافهام معنيان : أولها أنه مجموعة العواطف والانفعالات التي تهيجها في نفوسنا أحداث الزمن ، ومجالي الطبيعة ، ومعاني الوجود ، وألوان الحياة ، فنقول منظر شمري ، وظرف شمري . وثانيهما أنه فن قائم وصناعة مجيبة ، يتناول الأهواء الشبوبة بالتنسيق والتأليف والجلال ، ثم يبرزها لغة جميلة تطرب لها الأذن ويهتز منها القلب ! وبين المعنيين صلة شديدة وتباين كتابين الراحة التي تضوع من الزهر ، والرائحة التي تضوع من الكيمياء

ومهما يكن من شيء فالناس لا يزالون في لبس من المعنيين ، وحيرة في الشعر والشعور ؛ وكان من أثر هذا أن طائفة من الأحكام والنظريات والمؤلفات قد فسدت وغمضت لأطلاق الكلمة الواحدة على معنيين شتيتين وإن انصبت أسبابهما اتصالاً وثيقاً !

فالشمس الفاربية ، والغابة الرارفة ، والقمر الناعم ، والبحر العظيم — هذه وغيرها تبعث في الناس حين يستنفرون لها انفعالات وجدانية تختلف في الشدة والمدة والنقاوة والأثر ؛ وقد تكون أزمة الهوى ، وفاجعة الموت ، ونازلة الفقر ، أسباباً مباشرة لاضطراب نفس عميق أو خفيف يلوّن الشعور ، ويشتت الماش ، ويبدل الثقل الأعلى ! ولكن هذه العواطف الانسانية المروفة تغار كل التغار ما نسميه « العاطفة الشعرية » ، ولعل بيان أوجه

التغار والاختلاف لا يخلو من عنق ومشقة ، لأنهما في الواقع متحدان اتحاداً شديداً ما ينفصل أحدهما عن الآخر أو يبرز له ويسمو عليه ، فالعاطفة الشعرية تتصل أبداً بالحب والألم والخوف والغضب ، وما إلى هذا من مشاعر النفس وأهواء القلب

وإنما العاطفة الشعرية عندي إحساس قوي بحياة غريبة ، وشعور واضح بعالم جديد جرّده المبين من نفسه لنفسه ، ثم قوّم أشياءه وأحداثه وأشخاصه بالميزان الذي له خاصة ، وخلع على ما فيه قياً حديثة ، قد تنفق وقد لا تنفق مع القيم المألوفة التي تواضع الناس عليها في حياتهم الدارجة ! ولئن تشابهت أشياءه بالأشياء ، وتعارفت الأحياء بالأحياء ، فلقد يشملها جميعاً قانون النفس العام ، وتصطبغ كلها بالشعور الانساني ، تتجاذب تلك الأشياء والأحداث والأشخاص وتتنادى وتطرّد لغاية عمهما في دقة ونظام ؛ والأولى أن نقول إن الأشياء والأحداث والأشخاص تؤلف في العالم الجديد لحناً موسيقياً منسجماً بلا منة فيه ولا نشوز ، يتملأه الشاعر ويستوحيه ويخضع له ! دنيا رجسة هادئة جميلة هي ملك المبين لأنها في نفسه ، ولأنها من خلقه ! ولعل هذا العالم الشعري عاقل من وجوه عديدة عالم الرؤى والأحلام التي تضطرب في خيال المرء ، وتطيف في رأسه التفاني . . .

ولقد أحب أن أشير هنا ، وقد انحدرت « الأحلام » مع الحديث ، إلى أن جماعة الابتداعيين (الرومانتيك) وأدباء المصير الحاضر قد خلطوا بين الشعر والرؤيا ووحّدوا معناها ! نعم ، قد تكون الرؤيا والأحلام صوراً شعرية خالصة ، ولكنها صور بارزة مؤلفة من عمل المصادفة والأفتان ؛ وما دامت كذلك فهي صور شعرية بالمصادفة والاتفاق

إن عالم الرؤى عالم غريب قد ملأ ساحته الشعور المبهم ، وانفرط فيه عقد النطق المحترم ، وهب عليه إدراك غير إدراكنا ، وتفكير غير تفكيرنا ! فهو عالم مقلق تبرز الأشياء فيه على غير حقيقتها ولونها المهود ، وهي إنما تصطبغ بأهوائنا المسكطومة ومُثلنا المرجوة ورغائبنا السكائمة . والعاطفة الشعرية حالة نفسية كهذه الحال الطليقة تظهر على غير انتظام ، وتعمل في غير استقرار ، وتضمحل من غير انذار ! لقد تقوم في أنفسنا بالمصادفة وتختفي عن أعيننا بالمصادفة ! عجيب — ياسادتي — أثر المصادفة المباشرة في ظهورها وفنائها ! (تصنيق)

- ٢ -

يكر الزمان مسرعاً ولا يؤوب ، وتتجدد الحياة مشرقة ولا تتشابه ، وتزول الصور ماضية بدون أثر ! والله القادر الحكيم إنما تفرد بالخلق والنشر ، والمحور والأبداع ، ثم أودع في الحياة معنى الموت ، وفي الجدوة قوة الركود ، وفي الخلق سر الأعجاز ! ! ولكن الشاعر البين لن يرضى عن اللحظة الحية التي تطوى إلا إذا سجلها على القرباس ، وأمدت في عمرها ، وأثبتها على الدهر ، كأنها يمارض انحدار الأشياء الى صندوق المدم ، أو يغالب عبث الليالي وتطور الوجود ، فهو يقف بالذاهب الآفل وقفة طويلة ممعنة فيقيد خواطره ، ويملن أحاسيسه ، ويحيي حبه ، ثم يتزعج من الحياة قطعاً يقذفها في إطار خالد جميل الى العصور التي تليه ، والأجيال التي تضطرب بعمده على الأرض ! كذلك استطاع أن يستمتع بال عاطفة الشعرية الطليقة وأن يستحضرها في نفسه كلما أراد كما تستحضر الرؤى بالتنويم ؛ والفتون كلها تقلب العرض الزائل إلى حال دائم ، والعمل الفني إنما هو الآلة الحسية لهذا التوليد العجيب والخلق الموفق ؛ فالوسيقى والنحت والأدب والتصوير طرائق مختلفة للتمثيل والتعبير اقتضتها كثرة الحواس الظاهرة ، واشتباك النفس الباطنة ، وغموض المدينة الحاضرة ...

الشمس الشاعر طائفة من السبل المتتوية لاستحضار الماطفة الشعرية ، ورياضتها على الفن . ولعل أقدم السبل المشروعة ، وأصحها أثراً ، وأشدّها تركيباً هي اللغة ! ولكن اللغة بطبيعتها المادية وسلطانها الواهي واستخدامها العملي أجهدت الشاعر أيما إجهاد ، وهو الذي يقوّم بها الشعر ويؤلف منها الجرس !

أرجو أن أظفر — أيها السادة — بعرض ما يكابد الشاعر من آلام ، ويبدل من جهود ، ويغالب من مصاعب

إن اللغة كما ذكرت أداة قديمة يخلص الناس بها إلى حاجات العيش ومطالب الجسد ، فهي على هذا أداة سمجة خلقتها المصلحة ، وشوّهتها الظروف ، وأخضعها الشهوات ! فقيم الكلمات ، ومدلول الألفاظ ، وقواعد التركيب ، وفن الكتابة ، ومخارج النطق إنما هي ألحمة من الألهي الطريفة نعث بها على ما تقتضيه المآرب وترتضيه الأهواء . ولقد نجح مقررات المجمع الأدبي ، وفقد عمل الطباعة والصحافة في تحديد معنى اللفظ وكف

شرة الفرد ، ولكن خصائص اللغة من حيث قدرتها على إبداع الجرس الموسيقي وتشقن المعنى الواحد فيها عن كثير من المعاني المتدرجة لم تجد — وأسفاه — من يرد عنها عادية النزوات وعُرف الأوضاع ؛ فقد ننطق بالحرف وترسل الكلمة كما تقوى حناجرنا ، وتنفرج شفاهنا ، وتتسع ثقاتنا ، وتزخر نفوسنا فنحرف الكلم عن موضعه ، وندخل القوضى على المفهوم ، وننشر الشك في قيمة اللغة ! والحق أن اللغة لو أنها لم تصلح لغايات العيش ، ولم تشتمل على معنى السعادة لما كانت تكون وسيلة من وسائل الشعر والفن ، ومطلباً من مطالب الدقة والتعبير

هكذا ، ياسادق ، شاء الحظ العائر المشؤوم أن يستخدم الشاعر أداة حسية عملية ليحقق بها فناً أبي إلا أن بثور على الماش ، ويشرف على العمل ، ويسمو على المادة . . .

أما الموسيقى السميد — والحق على حظها — فقد يشرع فيها اختصاص له وتوفر عليه ، ووسيلته جاهزة سارية مستقلة ، لا يشركه فيها أحد من الناس ، ولا تتدنى إلى ما لم تخلق له ، وهو إنما يعمد إلى مادة قد صهرتها المصور ، وهبائها الطبيعة ، وحددتها الغاية ! لشد ما يشبه الموسيقى الصنّاع نحلة ولودا جاءت لتفرخ فوجدت الخلية قاعة على أحسن ما تقوم البيوت ، مقسمة على أدق ما تقسم الغرف ، فولدت مرثاحة هائثة ثم اهتمت للعسل وحده تجمعه من هنا ومن هناك ؛ كذلك رجل الألحان يؤلف فنه من غير جهد ، ويسلك سبيله بهجاً طروباً كأنما الملحن قد انسجم وبرز واكتمل قبل أن تمسه يد الموسيقى الفنان ! !

ذلك بأننا نعيش بالسمع في عالم الأصوات ؛ ونحيا بالأذن حين نعي العين ويمينا اللسان ؛ والأذن تدرك بطبيعتها أن الأصوات المتعالية إنما تتألف من وحدات بسيطة بالغة البساطة ، صغيرة بالغة الصغر ، حتى كأنها لا تقاس بشئ أو تلمح لوحدها ، وهذه الوحدات قد تنسجم لمسافات محدودة ، وتطرّد بنسب معينة ، فتكون الصوت الموسيقي ، وقد تضطرب بغير نظام ، وتسير على غير مناهج ، فتكون الضجة الراحفة . فالأذن تعلم بالفرزة مكان الوحدة من الجرس ، وتتذوق بالفطرة نور الجمال في الخمس ، وتدرك أن الفرق بين النغم والضجة كالفرق بين النقاوة والكدورة ، أو بين

- ٣ -

أذكر أني كنت أحاضر مرة في هذا المعنى طائفة من الأجانب ، فلما بلغت هذا الوضع من الحديث إذا أحد المستمعين يتلو على رسالة طريفة بعث بها الكاتب (راكان) إلى صديقه (شابلان) يقول فيها : « . . . وأنت تستطيع أن تنمت نثرى عما شئت من الظرف والكياسة والبساطة ، فلقد اعتزمتُ على ألا أحيد عن نصائح أستاذي الكبير (مارب) ولا ألزم ما يلزمه غيري من الوزن والايقاع والجرس ، وحسبي الرضوح من تاج أزين به نسج الفاظي ولقنات ذهني ! كان مارب الذكي يشبه النثر بالشي ، ويقرن الشعر بالرقص ، ويقول إن ما نفعله مرعمين يستحق التسامح والاعتدال ، ثم لا بد فيه من التجاوز والاهمال ، وأما ما نفعله باختيارنا ورغبتنا فن السخرية أن يكون المرء فيه ضعيفاً أو وسطاً ، فالأعرج مضطر إلى المشي اضطراداً ، ولكنه متحذلق سخيف لو راح يرقص على القالس والخطوات الخمس »

إن تشبيه النثر بالشي والشعر بالرقص تشبيه خصب جميل لا أعرف أصح منه ولا أدق ولا أشمل ! فالنثر كالنثر يقصد به صاحبه أن ينال غاية ماثلة ويحقق فكرة مرسومة ، فهو يرجو شيئاً ، ومن أجله يمشي ، ولعله لم يدب برجليه ويضرب في الأرض إلا لأن الباعث قد تحرك فيه وألح عليه ؛ وظروف المشي ، أعني طبيعة المشي وحالة البدن والأرض واشتداد الرغبة ، هي التي تحدّد سرعته وتعيّن وجهته ؛ فالنثر على هذا واسطة قائمة تزول متى برز وجه الغاية ، أو هو فعل متجدد سوف ينطوي بعد حين .

أما الرقص فهو هو الواسطة والغاية ، ليس يغني ولا يسير على غير هدى ؛ ولئن قصد به شيء فهو الرياضة على الفن الجميل ، والشعور بالحياة السميدة ، والاستمتاع بالثل الأعلى ؛ على أن الرقص يستخدم نفس الأرجل والأعضاء والأعصاب التي يستخدمها المشي ، وكذلك الشعر أداته نفس الكلمات والصور والمعاني التي يقوم بها النثر عند البيان

إنما يمتاز الشعر من النثر بأنه يتناول الألفاظ على نحو من التركيب والتوجيه يخالف ما يتناول منها النثر في أغلب الأحيان ، فنحن نعجب بالكناية والمجاز في الشعر أشد العجب ، بل نحن لا نعجب بالشعر إلا إذا كان كله أو جله كناية ومجازاً . أما القول

النظام والفوضى ، ثم جاء العلم الطبيعي فآتم إدراك الفرزة وفطنة الأذن ، وهو العلم القديم الدقيق ، فقياس النسب ، واختراع الآلات وأبداع من الألحان مالا تستطيعه دنيا الطبيعة بذاتها . . . وللموسيقى عمل السحر في النفس ، تخلق جواً خاصاً بها لست أدري ما طبيعته ، وإنما أعلم أنه جو هادي جميل يتخدر فيه الشعور ، وتطير العاطفة ، ويحلو التخيل ، وتبرز الأحلام ؛ ولو أن لحناً شجياً انبعث خافتاً من مكان في هذه القاعة الرحبة التي يهزها صوتي المضطرب المتعاطف لرأيتكم فجأة تُميلون الرؤوس وترهفون الأذان إلى مصدر اللحن ، تتحسونه وتتذوقونه ، وتمدونه في أنفسكم وأنتم لا تشعرون ؛ أفلا فطنتم إلى الأشعة القوية التي سطعت عليكم من شعاع لطيف ، وإلى الدنيا الحاملة التي طفت عليكم إثر جرس خفيف ؟ ولقد يطمس شخص أو يقع كرسي أو يفتح باب فتستيقظ أنفسكم الحاملة وكأنما صار لها ما يصير للزجاج إذا كسر ، أو الحبل إذا نصرم

تلكم الألحان الهادئة ، والأذان الواعية ، تعين الموسيقى على إحياء النفوس من غير تمب ؛ أما لغة الشاعر فكما علمتم ألفاظ جامدة مبهمه ، تخاطب الأذن والنفس على السواء ، وتدخل اليهما مزيجاً مضطرباً من الأصوات والصور ، وتثير فيهما ألواناً متداخلة من المواقف والميول . وهنا موضع الشذوذ ، فلست أعرف أترأ متداولاً أفرط في الفموض والاشتباك كاللغة ، ولقد تقول كلاماً صحيحاً يقبله العقل ولكنه لا يهز الأذن ولا يطرب القلب ، أو تقول كلاماً منسجماً جميلاً ولكنه خلوه من التفكير والمعاني ؛ وليس أدل على اشتباك اللغة من نشأة هذه العلوم المختلفة التي تتظاهر كلها على شرحها وتفسيرها ، فتم علم النقد والأدب والبلاغة والمنطق والاشتقاق والنحو تشترك جميعها في الكشف عما يحجب الألفاظ من الإبهام والتعقيد . ولن يستطيع البين أن يتجاهل هذه العلوم أو يثور على سلطانها أو يكتفي بالتوقيع على الأذن دون النفوذ إلى النفس !

ولكن الكلام كلامان : منشور ومنظوم ، والنثر والنظم مظهران قويان للغة ، وبينهما حدود على وضوحها متداخلة متشابكة . . . « تصفيق شديد »

أن تفهموا معناها لا أن تحفظوا مبناها ، لأن المعنى متى أشرق في
الذهن ووضح في الخيال وجد اللفظ سجيناً يحد من سمته ويضعف
من شأنه ؛ فالفهم والدقة والوضوح غاية النثر التي لا غاية له غيرها
وأعني أن الكلام المنشور يحيا حياة قصيرة ثم يموت . . .

وما ينبغي أن يحيا النثر إلا حياة قصيرة ثم يموت بعد أن يبلغ
رسالته تامة صحيحة واضحة ؛ ولكن الشعر خالد تتجدد ألفاظه
في القراءة ، وتحلو معانيه عند الاعادة ؛ وقيمة الشعر في شكله
الظاهر وكمائه المزجاة ، قد انتظمت كما ينتظم المقد وانسجمت
كما تنسجم الموسيقى ؛ فرؤوسنا تحفظ اللفظ تتلوه مترنمة هازجة
وتعيد على نحو ما سمعته في الرصف والانساق . ثم لا تبالي ان
تملت أو حزنت أو تأرت مادام في إنشادها رنة الفرح أو أنة الألم
أو نزوة الهوى . ولقد جهل قوم كثيرون طبيعة الشعر ، وهاموا
في وضع الحدود وتبيان المعالم فما نجحوا ولا استراحوا ؛ وعندى
أن الشعر لفظ جميل تستمتع به الأنفهام الراجحة ، وتتناشده الشفاء
اللاغية ، وتهضمه النفوس الراحية . ثم تخرجه كما كان لفظاً
جَمِلاً تبقى جديته على الزمان كأنما يستمان في « ميكانيكية »
متشابهة قوية رائعة . . .

هاتان نقطتان ثابتتان تقابل إحداها الأخرى على مسافة
صغيرة ، يتأرجح بينهما رقص مضطرب ككرة صاعدة ، قد
تدلى وتذبذب في جيئة وذهوب . أما النقطتان الثابتتان المتقابلتان
فهما اللفظ والمعنى ، أو الشكل والفكرة ، أو الجرس والمطافة ؛
وأما الرقص المضطرب فهو النفس المتصفحة الممعة ، تقرأ
القصيدية المنظومة أول ما تقرأ ، فتجوز اللفظ لتفهم المعنى ،
وتنسى الشكل لتذكر الفكرة ، ثم تخلص من الجرس إلى المطافة
تستطلع مطاويها كما هو الحال في التخاطب والكلام ، وهنا في
هذه السطور يتساوى النثر والشعر ، ولكنه طور خاطف لا يلبث
أن يزول . ذلك أن النفس القارئة تكرر راجمة بعد هذا إلى اللفظ
تعيد وتتملأ . ثم لا ترى خيراً منه سندوقاً بضم أشتات المعنى ،
ويحفظ دقائق الفكرة ، ويطن جمال المطافة ؛ تعود إلى اللفظ بعد
ما عرفت المعنى كما يعود الرقص من جولته إلى حيث ابتدأ في
الجولان ؛ وهكذا تضطرب النفس القارئة بين اللفظ والمعنى كما
يضطرب الرقص بين النقطتين الثابتتين المتقابلتين ، وهذا

بوحدته الشعر والنثر فهو قول خاطئ لم يقره النقد الصحيح ولم
يسفه الذوق الحديث ، ولعل ما يجوز في أحدها لا يجوز في
الآخر على أوجز تعبير

والشيء كالنثر يسلك به صاحبه أخصر الطرق وأقومها وأقلها
عوجاً ومنه طفات ليصل إلى بغيته التي يرجوها دون تريب ولا
تذبذب ، ولكن الرقص بخلاف ذلك لا يحلو إلا إذا أكثر من
الروحيات والندوات ، وأفرط في اللف والدوران ، وأمعن في
الجيشة والذهوب ؛ ولو سمح لنا الرياضيون لقلنا إن الخط المستقيم
سبيل الماشي والنائر ، والخط المنحرف سبيل الراقص والشاعر ؛
تلك السماء تسح مطراً — هكذا يعبر النائر في نزول المطر
الشديد ، وهكذا علّمنا منذ الطفولة على الكلام ، أما الشاعر
فلن يبين كما يبين النائر ويتكلم الناس وإنما يكسو الحقيقة العارية ،
ويزين الصورة الواقعة ، ويعرض الحس في إطار رائع يبهز البصر
ويعجب البصيرة . وما ينبغي للشاعر الفنان أن يقول « تلك
السماء تسح مطراً » حتى تحمل المظلة وتبقى البسلة لأن « تلك
السماء تسح مطراً » قاعدة الكاتب النائر ، ينشئ فيوجز ويصرح
ثم لا يجمل ولا يبالغ

يمشي الرجل متتافلاً أو مسرعاً إلى غايته ، فما يكاد يبلغها
حتى يقف قائماً لا يسمي كأنما التماثل والاسراع كانا من أثر الحاجة
والالحاح ، فالرجل يكف عن المشي لأن علة المشي قد زالت ولأن
غاية السعي قد برزت ؛ وهذا الأعرج الضعيف الذي ذكره مالمرب
في حديثه إنما يجلس مستوياً على مقعده كما يجلس الراكض العاني
بعد طول اللث والتعب . كذلك لغة النثر تضطرب وتعود في
الذهن متى عرف معناها واستبان غايتها ؛ فهذه محاضرتي إنما
ألقها على مسممكم لتفهموا عني ما أحب وتمتقدوا بالذي أعتقد ،
فأنا أقول الآن نقرأ ، ومتى انتهيت من الكلام وارضض جمعكم
الحافل طارت الألفاظ سريعاً من ذاكرتكم ، وتبقى الأثر منطبعا
في أذهانتكم كأنما أقول ما أقول من الكلام المنشور لأدفعه
بيدي وأذنيه متعمداً ، ولقد يتفاعل هذا الأثر الحديث مع غيره
من الآثار السابقة كما تتفاعل فيما بينها عناصر الكيمياء ؛ ومهما
تكن نتيجة التفاعل الفكري فالألفاظ التي أفدعها إنما أفدعها
لتتلاشي بعد حين كما يتلاشي البخار في الفضاء . وكال محاضرتي

يفيض قلبه ويمتلئ صدره ، فينطلق لسانه ويقول شعراً ، ولكم وددت أن يكون هذا الرأي القطر صحيحاً سديداً ، إذن لاحتمل الشاعر تكاليف الحياة ، ورضى البين عيسى الشقاء ! ولكن القريحة الفنية قد تبدلت وتغلم حتى لا تمى أمراً ولا تنطق حرفاً ، فمن يقول بهذا الرأي الفرير يخضع الشاعر لسلطان القدر الماث ، ويفدو الانتاج الشعري حينئذٍ مرهوناً بالمصادفة المواتية والامحة المشرقة ، أو متصلاً بالوحي العالى والموهبة الخارقة . ولست أعلم انتشاكاً على حرية الشاعر وامتهاناً لكرامته كهذا الرأي الفائل المار يجعله منفصلاً لا فاعلاً ، وحاكياً أميناً يقول ما باقى إليه من الكلام . وهو ، على هذا ، يحاسب كما يحاسب مدير الصحيفة المسئول ، فما كان خيراً قالوا هذا من عند الله ، وما كان شراً قالوا هذا من عنده ! والمعجب أن الكثرة الغالبة من الشعراء تؤمن بهذا الرأي وتناضل عنه ، أو هي على الأقل لا تجد التضاضة الدليلة بأن رضى قانمة بمشينة المصادفة والوحي

توافرت الأدلة وأثبتت التجربة أن الشعر الذى يعترف بجودته وبلوغه المثرة الرفيمة التى نغلى على القارى أثر الوحي والاحساس النفسى ، إنما هو فى الواقع من عمل الجهد الدائب ، والارادة الصابرة ، والتفكير العميق . أفلا نحس بهذا المجهود الكبير يبذله الشاعر حين نقرأ قصيدة من قصائده الطويلة الجميلة ؟ فنحن نحطى كثيراً إن حسبنا أن الشعر وحدة لا تقبل التجزئة ؛ وموهبة لا تقوى على الران ، وأزراً لا يخضع للزمن

لقد يمتاز الشاعر من بين الناس كافة بلحظات مشرقة خاطفة تمصف بذاته وكيانه عصف الريح بفروع الشجر ، فتفتتح لديه مغاليق نفسه ، وبطل على دنياه الكامنة ، ويلسع عجائب الروح . تلك اللحظات ثمينة عزيزة تضى ما اختبأ بين اللحم والدم ، وتبث من المعاني والصور مالا يفهمها أو يقدرها إلا الشاعر وحده ، لأنها مختلطة بأوضار المادة وصادرة عن اسرار الظلام ؛ وهى معانٍ وصور لا تثبت للمنطق الظاهر ولا تلين للبيان الشعري ، وكل ما فى الأمر أنها قطع تنتثر من أعماقنا على حالها الطبيعى كما تنتثر الأحجار الكريمة من جوف البركان . ولقد يبنى أن نطرح الأوشاب ، ونحتفظ بالمنصر الصالح النقي لنذنيه فى قالب جديد ونقدمه جوهرة خالصة للناس

فالذين يؤمنون بالوحي الشعري يقتلون العمل والابداع ،

الاضطراب بين الظاهر والباطن هو الذى أسميناه « بالماطفة الشعرية » فى صدر المحاضرة ، وهو غاية الشعر التى لا غاية له غيرها ، ولعل الشاعر الموهوب من يختار اللفظة الصالحة لأحداث الاضطراب النفسى ، وإحياء الماطفة الشعرية

فالشعر كما أراه يفترق عن النثر ولا يلتبس به ، وهو أشد ما يكون بعداً وتسامياً عن القصة والرواية اللتين تصفان حوادث الواقع وتمرضان مشاهد الحياة ، وهذا التباين نلحه واضحاً فى الوضع الطبيعى الذى يأخذه قارى الرواية وقارى الشعر ، فالأول ينساق مع تيار الحوادث ، فيفخر أو يهضب أو يفرح أو يحزن ، وقد وضع جبهته بين كفيه ، وركب رأسه فيها يقرأ ، وتعجل التلاوة ليأمن الذى يلى ويطمئن للخاتمة ، فجسده غائب وحواسه فارغة ، وعقله منغمس قائم لا يشمر بما حوله ولا يدرك إلا ما هو فيه ، ولو أنصفنا لقنا إن قواه الجسدية قد انحلت ، وأن قواه النفسانية قد انقلبت عقلاً بمن ويتلو ويتأثر ، أما قارى الشعر فلا تنقسم طبيعته ولا تتوزع قواه ، وإنما يذهب فى القراءة بجوارحه كلها ماذق منها وما ظهر ، ماذق وما غلظ ، ماذق وما سفل ؛ فالقصيدة تهيج نفسه وعصبه ، وتوقظ ملكاته الحسية والفكرية . ثم يريد على أن يتصور الأشياء ويتمثل الحقيقة كما هى غير محرفة ولا ملتوية ولا مضطربة ! !

ولكننى على هذا ألح بين الشعر والنثر درجات من الصور خافية متوسطة تربط قطبين متقابلين فى الأدب ، وتصل مظهرين قويين للفنة ، ثم تنشئ بينهما حدوداً على وضوحها متداخلة متشابكة . . .

— ٤ —

أينظم الشاعر مضطراً أم ينظم مختاراً ؟

هذا آخر ما أفكر فيه وأحدث عنه ، والغريب أن الباحثين لم ينتهوا بعد من تقرير شيء فى هذا . فالجدال عنيف ، والتمقيد ظاهر ، والعمل شاق . وقد يئست طائفة من الشعراء وتبرمت بالقريض ، ثم قالت : إن مهنتنا تضئ النفس وتأك كل القوى ، وصاحبنا ما لرب يزعم مخلصاً أن الشاعر الذى يعنى مقطوعته الفنية وجب أن يهدأ مراتحاً بعد ذلك عشر سنوات ! !

ينظم الشاعر . . . ولكم تدرون متى ينظم الشاعر ، وما حاجتى إلى شيء تعرفونه حق المعرفة . ينظم الشاعر حين

رشيد في ضحى عيدها للأستاذ محمد محمود جلال



كعدنا لا
نذكر اليوم عن
« رشيد » إلا
إخراج الأرز
طعاماً شهياً .
وأهم مفرصاته
ولا نعرف لها
أكثر من
الترويح الذي
نلقاه من جمال
موقعها حين نبرم
بالمصيف التمدن

المملوء بالرحيمات على شاطئ الاسكندرية ، فنفرع اليها نلتمس
شيئاً من التغير وقرباً من الطبيعة في أهنأ مظاهرها
فأما نصيبها من حياتنا المنوية فمقصور على ما نتوارنه مباعاً
عن سرعة التكنة في طيبة أهلها ، فتتأدر بشيء مما حفظنا منه
في مناسبات متباعدة ، فإذا طلبت في إحدى بيتاتنا مزيداً فليست
تجد إلا رواية عن مختصر غل من كتب الجغرافيا « فهي ميناء

وبرضون بالشاعر وسيطاً تمل عليه القدرة القادرة ما تشاء من
ضروب القول وألوان المطالمة ، وما لثل هذا يسخر الفن ويخلق
الشعراء ! لشد ما هنأنا بالذين كانوا يؤمنون بحلول الجن أجساد
البشر ، ثم يجرون على أنسنتهم ما يشتهون من الحجج واللجج
والنزوات ! نعم إن الشعور الصادق في اللفظ الجليل قوام الشعر
الصحيح ، ولكن الشعور النفسي لن ينجس صافياً عذباً مهيئاً
للبيان ، وما أحسبه يصفو ويعذب إلا إذا مهد له الشاعر بنشاطه
فجرده من الأدراخ التي تمازجه ، ونفض الغبار عنه ثم أهده
للقارى أنشودة رائعة وأترأ كاملاً . . .

بيروت

محمد رومي فيصل

على ملتقى النيل بالبحر الأبيض المتوسط وهي مركز من مديرية
القرية كانت محافظة إلى عهد قريب »

وهكذا غمطت « رشيد » حقها ، وغمر في قاموسنا أصلها
كما ذهب الالهال بأكثر صحفنا ، وعصفت الأنواء بمفاخرنا .
كانها لم تكن طفراء في كتاب الجهاد الحديث ، ومسرحاً أظهر
الله فيه آيات الحكمة والبسالة لشعب وادى النيل . كأنها ليست
هي رشيد التي حققت في سنة ١٨٠٧ ما لا يزال في أحضان التقدم
والرقى مجرد أمل لوادى النيل ، وأمنية لا أكثر أقطار الشرق
أجبت أن أرى رشيد في أول أبريل ، وكنت بالاسكندرية
والمسافة بينهما تقطعها السيارة في ساعتين

تخبرت « سيارة أجرة » أعجبنى مظهرها واطمأنت نفسي
الى أدب سائقها ، وسارت تقطع الطريق وقد أوصيت قائدها
بالتؤدة لمة الأمعاء التي أشكرو

وقب في السائق في الطريق عند « ادكو » نشرفة على
بحيرتها ونزلت أمشي قليلاً على قدمي . فلما عدت استأنف رحلي
وجدت السائق قد أعد فتجان قهوة وكوب ماء وقدمهما إلى في
أدب يسندر أن تراه في زملائه . شكرت له صنيعه وألححت في
أن يطلب له فتجاناً آخر ومرحته ريثما يشربه في قهوة مجاورة
يبد أنه لم يقبل إلا بعد مشقة

جلست إلى جوار السائق مستأنفاً رحلي وقد ألهمت أن
للرجل قسطاً من العلم ولا بد من سمر مؤثر في حياته وبدأت آنس به
قلت : « لأى غرض نظنتى أقصد إلى رشيد اليوم ؟ » قال :
« لمل حضرتك محام ولديك اليوم جلسة » قلت : « لقد تركت
الهيئة منذ ثمانى حجج وأنا اليوم فلاح مقيم بالوجه القبلى » قال :
« لملها زهرة ، فكثير من الخواجات يأتونها في أوقات مختلفة »
قلت : « ولا هذا أيضاً . وليس ملى رفيق ولم أر رشيد من قبل »
قال : « لملك تزور صاحباً » قلت : « لا أعرف بها أحداً وقد
ذكرت لك أن هذه أول زيارة لها »

اكتفيت من حدى السائق بما سمعت ، وخففت عنه
عبء الفكر فقلت : « هذا يوم عيد لرشيد -- بل عيد لوادى
النيل . فقد أشرقت شمس هذا اليوم منذ ١٢٨ عاماً وللمدينة غنى
بشمس النصر ، وحرارة الجهد والظفر على المتمدن حتى جلا

قلت : كلا . أمدد يدك انى أصافك ، وأنت الآن فى نظرى
خير منى ، وأنت إذن سائق ورفيق

أشرفنا على المدينة ، فسألت السائق هل يعرفها جيداً ؟
قال « نعم » فاطمان خاطرى فنزلت وصورت مدخلها
رأيت أعلاماً منشورة ، وزينات مرفوعة ، وبشرراً يغمر
الوجوه . فقلت : الحمد لله إنهم يعرفون لليوم حق . والتفت إلى
رفيق خريج « كلية غوردون » وقلت : « ألا ترى مظاهرا لعيد ؟ »
أجاب الرجل : « إنه اتفاق سعيد ، فقد أزيلت المنازل والطرق
لمودة الحجاج من أهل رشيد ، وقد دغيت أسس ليركب سيارتى
أحد أعيانها القادمين ، ولكنى وعدتك أن أوافيك بفندق
وندى سور . فاعتذرت بهما علا الأجر ، وأنا اليوم أعد نفسى سعيداً »
قلت : بل أنا يا بنى ، فقد وجدت فيك من يحتفل معى بهذا العيد
على معرفة ! « وقلت : لا يزال فى الدنيا من يرخص المادة فى
سبيل إلقاء ، وإذن ما زال الدنيا بخير

رشيد بلد ظريف جذاب . إذا نظرت إلى التقاء النيل عنده
بالبحر الأبيض المتوسط ، ذكرت على التوكيف انساب مدينة
وادی النيل القديمة إلى أوربا ، وعرفت كيف سارت تعاريج
الأمواج الحلوة الهادئة بين الشاطئين الهادئين ، فكانت أشبه
بالسطور يحملها الأثير بفعل الاختراع — فنقلت فى أقدم المصور
التشريع المصرى إلى (أثينا) فأضفت على تاريخها مفخرة التقنين
وسن الشرائع

أمواج النيل الهادئة ، بالإضافة إلى أمواج البحر الصاخبة
الهائلة ، كذلك انخلق الرصين اللتين يثار متنداً فيتقلب على
صخب الجبوت ، والهيولى المنخمة الخفيفة لكتائب الغضب
والنزو — وقد شهد وادی النيل مصارع أم كبيرة فأثنى قواها
أو مثلها ففتيت فى شعبة

مررنا بالمباني الحديثة فقلت خلوا بينى وبينها ، أرونى المباني
القديمة ، أسمعونى الشهود المدول ، دعوها تحذرنى عما شهدت
وتطلعنى على ما خفى من تفاصيل المفاخر

رأيت المنازل القديمة ، ووقفت برؤى أسائلها ونجيبني . أسنى
إلى (طيقانها) الصغيرة ، فأسمع حديث الآباء والشم ، ووقفت
بأبوابها أذكر القرى والكرم

الأنجيز فى ظل معاهدة مع محمد على باشا عن البلاد بعد ذلك
بشهور ! !

سُر السائق بما سمع وبدأ إلى أنه يريد أن يتكلم فلزمت
الصمت قال : « إن بلادنا منا وبأسبابنا . قلت : لم وكيف كان
ذلك ؟ قال : « ألا تذكر حضرتك كيف التجأ الخديو توفيق
باشا لحماة الانجليز ؟ — ألم تسرق من معسكر عرابى خريطة فى
الثل الكبير بواسطة أحد الضباط ؟ !

ذكرت على التو أمر الخريطة وأنى قرأت شيئاً من ذلك فى
أحد المؤلفات التى كتبت عن المسألة المصرية وإذا لم تخفى الذاكرة
فهذا الضابط الذى يعنيه بدعى « على يوسف خنفس »

قلت : ولكن بعد ذلك ألم يكن سبيل لتصحيح الخطأ ودرء
الخطر ؟

قال : « ألم يكن رؤساء الحكومة أغراباً بين تركى وأرمنى
ورومى ؟ »

تساءلت : ومن هذا الأرمنى ؟ أو كان لنا رئيس حكومة
أرمنى ؟

قال : نعم . نوبار باشا ، ألم يساعد على سلخ السودان ؟
استدركت قائلاً « بل قل الوجه السودانى كما تقول الوجه البحرى
والقبلى . أو تعرف للسودان قيمة ؟ »

قال : « إنه حياتنا ، ولقد عشت فيه ، وثلت الشهادة
الابتدائية من كلية غوردون »

صدق ظنى فأنا بأزاء رجل متعلم ، وطاب لى أن يستمر فى
حديثه وكله سمر مفيد متصل بما أعنى به

سألت السائق : « وما الذى دفع بك إلى الوجه السودانى ؟ »
قال : « ولدت هناك ؛ وقد كان أبى موظفاً بمصلحة السكة
الحديد . أرسل إلى السودان ليُدرب البتدين هناك من عمال
التلغراف ، ولما عدنا أنعمت دراسى إلى شهادة الكفاءة ، وشق
على أن أسى للوظيفة وسط أمواج الساعين وذل الوساطة ،
فتعلمت قيادة السيارات واشترت هذه ، وأنا ببشى قانع
ولله شاكر »

لم أجد بداً من تحيته تحية تجزى شيئاً من كرامته وحسن
تقديره للحياة ولوطنته . قلت : قف السيارة — وقد ظن أنى
أريد استئناف السير على فدى لدقائق أخرى ، فهم يفتح الباب

فلسفة موسى بن ميمون

ومصنف «دلالة الحائرين»^(١)

بقلم اسراييل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم



عن التوفيل ليربر

إذا كانت
مدونات موسى
ابن ميمون
التشريعية قد
صنفت لآبناء
الثقافات اليهودية
قبل كل شيء ،
وإذا كانت
البحوث التي
وردت فيها
لا تتجاوز
حدود الدين

وأدب الدين والتشريع الامرائيلي فإن كتاب دلالة الحائرين يشغل ناحية أخرى من التفكير الانساني ، هي الناحية الفلسفية والمنطقية ، أو الناحية الانسانية العامة التي كانت تشغل بال المفكرين ورجال الفلسفة في ذلك العهد

وقد اعتمد موسى بن ميمون في أثناء تأليف كتابه «دلالة الحائرين» على المصادر العبرية التي كان له بها إلمام ينذر أن يكون في شخص آخر من أخبار اليهود في القرون الوسطى ، كما كانت له دراية تامة بمؤلفات اليهود باللغة العربية ، ومع أنه لم يسرد أسماء المؤلفين إلا في أحوال نادرة فإن نظرياتهم تتكرر في كثير من فصوله في كتابه «دلالة الحائرين» إذ يسرد آراء سعديا الفيومي^(٢) ونحبا^(٣) وسليمان بن جبرول^(٤) وسهودا هالوي^(٥) وابراهيم بن

التقيت بأحد أبناء رشيد الكرام الأستاذ فؤاد نور الحماي فحدثت رفقته وحدثت السرى ن ظله ، زرنا المنازل الأثرية فهذا بيت (الأماسيلي) كان يملكه حاجب المحكمة الأهلية قابضته مصلحة الآثار ولكنه مقفل فلا دليل يقف مياحه للمسترشدين ، ولا نشرة توزع عما يجب للبناء الأثرية من بيانات ، ولا «كارت بوستال» يباع — حاولنا صوره الداخلية

والبيت من داخله تحفة فنية وفيه متعة وشغل للبصر والبصيرة ، بنى في ٢٨ شوال سنة ١٢٢٣ هجرية وقل أن تجد من يعنى بتاريخ البناء إلا في السنوات الأخيرة وأعجب ما رى فيه «مقصورات» شبيهة بالألواح التي نراها اليوم بالمسارح أعدت لجلوس السيدات ليشهدن مجالس الغناء وتسمى «الأغاني» إضافة إلى الغرض منها

وقفت إذن : أن هذا البيت قد شهد موقعة النصر وأنه شاهد أمين عليها ، وقفت به طويلاً وقلت : ما يؤلنى أن أكون وحيداً ولا أن يرافقني رهط قليل مادامنا نقوم بما نعلم من واجب ، فنداً يزور رشيد آلاف وغداً يكون الاحتفال عاماً ، ولا ضيراً أن نبداً قلة وقد نعلم أن (واشنطن) عد في وقت مجنوننا ، وأنه لم يخل من تأمر حرسه عليه ، وهو اليوم ، وفكرته اليوم متجه الأنظار للأمر بكان جميعاً

ليس في رشيد فندق لائق . وقد أعد يوناني مطعماً منذ سنوات قليلة فقطاطمه أهل البلد حتى لم يجد مناصاً من اغلاقه وهجرة البلد كل دار أحق بالأهل إلا في خبيث من المذاهب رجس ولكن هذا الميدان الذي خلا ليس من أهل البلد من يملؤه ؛ أولئك الذين كتب عنهم الجنرال ستيورات الى القائد قرزيه في ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ يقول : «إن الأهالي لا يصابون بالمصائب رغم ما أحدثنا بالمدينة من تخريب حتى بلغ ما أطلقناه من القنابل من المدافع البعيدة المرمى وحدها ٣٠٠ قذيفة»

على أحفاد أولئك الكرام أن يحتفلوا بذكرى أجدادهم ويعجد بدهم . وعليهم أن يسدوا كل ثغرة ، ولعلنا نقبس الرشيد عما قريب عن رشيد

الشيخ عطا

محمد محمود جبرول
الحماي

(١) فصل من كتاب عن موسى بن ميمون تحت الطبع

(٢) راجع كتاب دلالة الحائرين ج ١ فصل ٦٥ ، ج ٢ فصل ٦٣ ،

ج ٣ فصل ١٧ (٣) ج ١ فصل ٥٩ ، ج ٣ فصل ٨

(٤) ج ٢ فصل ٤٢ (٥) ج ١ فصل ٥٢

وكان السبب المباشر في نشر كتابه دلالة الحائرين الحاح تلميذه يوسف بن عقين عليه ، ويقول موسى بن ميمون في مقدمته الى تلميذه : أيها التلميذ العزيز ، لما مثلت ليدى وقصدت الى عظم شأنك عندى لشدة حرصك على الطلب ، ولما رأيت في أشعارك التي وصلتني وأنت مقيم بالاسكندرية من شدة الاشتياق للأمور النظرية ، وقبل أن أمتحن تصورك قلت لعل شوقه أقوى من إدراكه ، فلما قرأت على ما قرأته من علم الهيثة وما تقدم لك مما لا بد منه ، زدت بك غبطة لجودة ذهنك ، وسرعة تصورك ، ورأيت شوقك للتسليم عظيمًا فتركتك للارتياض فيه لعلنى بما لك ولما قرأت على ما قد قرأته من صناعة المنطق تعلقت آمالي بك ، ورأيتك أهلاً لأن تكشف لك أسرار الكتب النبوية حتى تطلع منها على ما ينبغي أن يطلع عليه الكاملون ، فأردت أن ألوح لك تلويحات وأشير لك بإشارات ، فرأيتك تطلب منى الازدياد وأن أبين لك أشياء من الأمور الالهية وأن أخبرك بمقاصد المتكلمين وطرائقهم ... وأمرتك أن تأخذ الأشياء على ترتيب قصد أمتنى أن يصح لك الحق بطرقه لا أن يقع اليقين بالمرض ؛ ولم أمتنع طول اجتماعك بى إذا ما ذكر نص من نصوص الحكماء فيه تنبيه على معنى غريب من تبيان ذلك لك ، فلما قدر الله بالافتراق ، وتوجهت الى حيث توجهت أثارته منى تلك الاجتماعات عزيزة كانت فترت وحركتني غيبتك لوضع هذه المقالة التي وضعتها لك ولأمثالك ، وقليل مام ، وجمالها فصولاً متشورة وكل ما أكتب لك منها يصلك أولاً فاولاً ودمت وأنت سالم ... (١)

ولم يقصد موسى بمصنفه هذا الجمهور أو المبتدئين بالنظر ، بل كان نصب أعينه « جماعة الذين أخذوا أنفسهم بالكمال الانساني وإزالة هذه الأوهام السابقة من سن الطفولية » (٢) أو إنه « ما ألف الكتاب إلا لمن تفلسف وعرف ما قد بان من أمر النفس وجميع قواها ... » (٣) أو « لمن هو كامل في خلقه ودينه ونظر في علوم الفلسفة وعلم معانيها ... » (٤)

أما عن غرض تأليف دلالة الحائرين فيقول المؤلف : ما كان الغرض نقل كتب الفلاسفة ... (٥) وما كان قصدي أن أولف

حياً (١) وابرهم بن داود (٢) وابرهم بن غندرا (٣)

وكذلك كانت له دراية بآداب اليهود القرائين (٤)

أما الفلسفة اليونانية فكان يعرفها من التراجم العربية شأن غيره من الفلاسفة في البلدان الاسلامية وهو متأثر قبل كل شيء بارسطاطاليس الذي يراه رئيس الفلاسفة ، يحمله لإجلالاً عظيماً إذ يقول : « وكل ما قال ارسطاطاليس في جميع الوجود الذي من لدن فلك القمر الى مركز الأرض هو صحيح بلا ريب ، ولا يمدل عنه إلا من لم يفهمه ، أو من تقدمت له آراء يريد الذب عنها ، أو تقوده تلك الآراء لانكار أمر مشاهد ... » (٥)

وكان قد درس كتاب الأخلاق لأرسطاطاليس من ترجمة إسحق بن حنين كما علم نظرياته من شروح يونانية مترجمة الى العربية مثل اسكندر الأفروديسي (٦) وتامستيدس (٧) ويحيى النحوى (Gohannes Philapone) (٨)

وكذلك وصلت اليه نظريات ارسطاطاليس بوساطة المصنفات العربية مثل الفزالي (٩) وابن باجه أبو بكر بن الصائغ (١٠) وابن الطفيل (١١) والقارابي (١٢) وآراء المتكلمين (١٣) ، وكذلك أدمج في « دلالة الحائرين » بعض النظريات لبطليموس (١٤) وجليينوس (١٥) اليونانيين

وكذلك ورد في دلالة الحائرين بحث في منزلة الممتزلة والأشعرية (١٦) مما يدل على أنه درس المذاهب الاسلامية دراسة وافية

- | | |
|--|--|
| (١) ج ٢ فصل ٤٥ | (٢) ج ١ فصل ٥٢ ، ج ٣ فصل ٣٣ |
| (٣) ج ٣ فصل ٢٠ | (٤) ج ١ فصل ٧١ |
| (٥) ج ٢ فصل ٢٢ | (٦) ج ١ فصل ٣١ ، ج ٢ فصل ٣ |
| وفصل ١٥ وفصل ٢٢ | (٧) ج ١ فصل ٧١ (٨) ج ١ فصل ٧١ |
| (٩) راجع هامش الترجمة الفرنسية لدلالة الحائرين للعالم فونك | |
| le Guide des Egarés de Maimonides publié par S. Munk | |
| ج ١ من ٢٠٨ ، ٢٤٥ ، ٣٨٣ ، ٣٩٢ | Paris 1856 — 1866 |
| (١٠) ج ١ من ٢٧٨ ، ٤٣٤ ، ج ٢ من ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٨٦ | |
| ج ٣ من ٢٢٢ ، ٤٣٨ | (١١) ج ١ من ١٢ ، ٣٥٨ |
| (١٢) ج ١ من ١٩٣ — ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٨ ، ج ٢ | |
| من ١٢٨ ، ١٣٩ ، ٢٥٩ ، ج ٣ من ١٣٩ | (١٣) ج ١ من ٥ ، ١٨٥ ، ٣١٣ — ٣١٦ ، ٣٣٦ — ٣٧٥ ، ٤٥٩ ، ج ٢ من |
| ١١٨ ، ١٢٨ ، ج ٣ من ٥٨ — ٥٩ | (١٤) ج ١ فصل ٧٢ |
| ج ٢ فصل ١٣ ، ج ٣ فصل ١٢ | (١٥) ج ١ فصل ٧٢ ، ج ٢ فصل |
| ١٣ ، ج ٣ فصل ١٢ | (١٦) ج ١ فصل ٧١ |

(١) ج ١ من ٢ (٢) ج ١ فصل ٦

(٣) ج ١ فصل ٦٨ (٤) ج ١ صدر الجزء الأول من ٣

(٥) ج ٢ صدر الجزء الثاني من ٤

العقل لا الشكل والتخطيط . . . (١)

وإدراك الآلهة عنده على الطريقة السلبية لا الإيجابية ، فانه يقول : « اعلم أن وصف الله عز وجل بالدوالب هو الوصف الصحيح الذي لا يلحقه شيء من التسامح ، ولا فيه نقص في حق الله تعالى جملة ولا على حال ، أما وصفه بالإنجائيات ففیه من الشرك والنقص . . . » (٢)

ويبحث الجزء الثاني في مشاكل وجود الله وتوحيده وروحانيته وما يرى الفلاسفة في الكون إذا كان قدماً أو « محدثاً » ، ومع أن موسى بن ميمون من أشد أنصار أرسطاطاليس في مسألة قدم الكون بحاربه بحاربة عنيفة ، لأن الأخذ بقدم الكون ينفي ما ورد في التوراة من أن الكون محدث ، ويقول موسى بن ميمون بعد بحث طويل في هذه المسألة إن كل ما ذكره أرسطاطاليس وأتباعه من الاستدلال على قدم الكون ليس له براهين قطعية ، بل لها حجج تلحقها الشكوك العظيمة . . . (٣)

ثم يبحث في النبوة وماهيتها ودرجاتها وتعريفها عند رجال الدين من الملل المختلفة وعند أصحاب المدارس من الفلاسفة ويشغل البحث في النبوة أغلب فصول الجزء الثاني وهو من أرق ما وصل اليه التفكير اليهودي الفلسفي في القرون الوسطى أما الجزء الثالث فيتم موسى في فصوله السبعة الأولى بمبحثه عن النبوة بشرحه رؤيا النبي حزقيال الذي ورد في الفصل الأول والثالث من سفره من أسفار العهد القديم ، وكل ما ورد فيها من الاصطلاحات المويصة والمعاني الغامضة

ثم ينتقل إلى البحث في الشر ، وما يحل من المصائب بالعالم وهل الإنسان هو الذي يكون مسئولاً عما يقع من الكوارث على المخلوقين أم الله سبحانه وتعالى ، ثم ينتقل إلى مشكلة المنية الآلهية بالكون والمخلوقات ، وما يقول الفلاسفة من اليونان والمسلمين واليهود فيها

ثم يتعرض لأموال دينية في الشريعة التي جاءت لصالح النفس وصلاح البدن ، كما يشرح واجبات وعبادات وردت في التوراة على الطريقة الفلسفية

شيئاً في علم الطبيعة ، أو أن أخلص معاني العالم الآخرى على بعض المذاهب ، أو أبرهن على ما يبرهن منها ، أو أن أقتضب هيئة الأفلاك ، ولا أن أخبر بمددها إذ الكتب المؤلفة في جميع ذلك كافية ، وإن لم تكن كافية في غرض من الأغراض فليس الذي أقوله أنا في ذلك الغرض أحسن من كل ما قيل ، وإنما كان الغرض بهذه المقالة أن أبين مشكلة الشريعة وأظهر حقائق . (١)

ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، يشتمل كل جزء على فصول أو موضوعات ، وعلى كبر حجم الكتاب وتنوع موضوعاته فإن ما ورد فيه من النظريات يتدرج تدرجاً منطقياً محكماً من قضية إلى أخرى ، فكان جميعها سلسلة واحدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً والمهدف الأسمى الذي يرى إليه موسى بن ميمون هو أن يأتي أشعة من أنوار الفلسفة والنطق والعقل على الإيمان والشعور « العقل الفائض علينا هو الصلة بيننا وبين الله تعالى . . . » (٢) وهو يقصد التوفيق بين الدين والفلسفة « الحكمة المقولة باطلاق في كل موضوع هي الناية هي إدراكه تعالى » (٣) ، كما يقصد التوفيق بين موسى كليم الله وأرسطاطاليس شيخ الفلاسفة حتى ينظر العالم إلى الدين عن طريق الفلسفة ، وحتى يطلب الحق والعرفان لا في أفق الدين وحده ، بل في ميدان العقل والنطق أيضاً ، وقد رفع بذلك الفلسفة والفلاسفة إلى مصف واحد مع الدين وكبار مفكرى الدين

ويبحث الجزء الأول من دلالة الحائرين في ماهية الله وكيفية إدراكه وتوحيده ، كما يدخلنا في الكتاب المقدس عن طريق الفلسفة والنطق ، ويفتح الكتاب بمحاربة عنيفة كل ما يقصد من الأوصاف المادية المنسوبة لله ، فيشرح الآية « نصنع إنساناً على صورتنا وشبهنا » (٤) إن الناس قد ظنوا أن لفظ صورة في اللسان العبري يدل على شكل الشيء وتخطيطه فيؤدي ذلك إلى التجسيم المحض ، ورأوا أنهم إن فارقوا هذا الاعتقاد كذبوا النص . . . وأما صورة فتقع على الصورة الطبيعية ، أعني على المعنى الذي يجوهر الشيء بما هو وهو حقيقته من حيث هو ذلك الوجود المنوى ، هو الذي عنه يكون الإدراك الأنساني .. فيكون المراد من الصورة الصورة النوعية التي هي الإدراك

(١) ج ١ فصل ١ ص ١٢ (٢) ج ١ فصل ٥٨ ص ٧٠

(٣) ج ٢ فصل ١٦ ص ٣٤

(١) ج ٢ فصل ٢ ص ١١ (٢) ج ٣ فصل ٥٢ ص ١٣٠

(٣) ج ٣ فصل ٥٤ ص ١٣٤ (٤) سفر التكوين الفصل الأول آية ٢٦

١٠- قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكي

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur

مسلة حديثه

رسل الفات : ترك بستور مدينة آيه وذهب إلى باريس . فالتقى على الكيماي العظيم « دوماس » . وبعد ثم أبحاثه في حامض الدردى . وبينما هو كذلك اكتشف « كنيارد دى لاتور » أن الحماض باليرة المختمة تتكاثر فتجلى الشعر بذلك الى كحول . وتعين بستور أستاذاً بجامعة « ليل » وتزوج ابنة عميدها فسررت الى جانبه . وأجرى كثيراً من التجارب الجامعة وأخفق فيها

وتعين « بستور » عميداً لكلية العلوم بجامعة « ليل » Lille ، فسكن واستقر في « شارع الأزهار » . وهنا اتصل عفواً ولأول مرة بالمكروبات . وفي هذه المدينة الأصلية ، مدينة المقطرين للخمور ، مدينة زراع البنجر وتجار الآلات الزراعية ، قام « بستور » بحملة قوية ، بعضها علمي ، وبعضها قصصي روائى ،

وقد ورد في هذا الجزء معلومات كثيرة عن الأخلاق والمادات عند الصابئة وعبدة الأصنام من الآراميين من أهل حران بجزيرة العراق كما ذكر بعض كتبهم وكذلك ورد الذكر لكتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ولم يتنبه العلماء المستشرقون إلى هذا الكتاب إلا بعد أن قرأوا ما كتبه عنه موسى بن ميمون

وفي الفصول الأربعة الأخيرة يبحث المؤلف في العناية بالعبادات والواجبات الدينية التي هي الغاية المثلى لحياة الانسان حتى يدرك الحقائق الالهية ، وحتى يتقرب إلى الحق والعدل والحكمة وهي ألقاظ بمرورها موسى تعريفاً منطقياً فلسفياً ، وهذه الفصول من أدق ما وضع في مصنفه دلالة الحارثين وأكملها

اسرائيل رلفسره

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم

وبعضها ديني ، وبعضها سياسى ، ليضع المكروب في موضعه اللائق من اهتمام الناس ورعايتهم . نعم في هذه المدينة ذات الخطر البسير والجمال القليل ، في هذه المدينة التي لم تشهر قط بالعلم ، أنار بستور زوينة هائلة نالت صفات العلم فظلت تؤرجحها ثلاثين عاماً . أبان بستور للعالم خطر المكروب فأوجست منه خيفة ، وخلق لنفسه في سبيل ذلك أعداء الداء ، وخلق لها أحباباً خلصاء ، وملأ اسمه صفحات الجرائد الأولى . وطلبه خصوم للمبارزة . وضحك الجمهور بادى بدء من مكروباته القالية ، وقصف بالنكات عليها ، بينما كانت كشوفه تنجى حياة المدد العديد من الشفاء . واختصاراً في هذه المدينة المتواضعة ، ومن فوق أرضها شال السؤلة الأولى إلى فردوس الخالدين

جاء بستور إلى مدينة « استراسبورج » غاورته الحقائق فيها واختلطت عليه ، ثم جاء إلى مدينة « ليل » فجاءه المجد يسمى ، وذلك بإسدائه المعونة إلى ... خمار

جاء إلى « ليل » فقال له الرجال ذوو المال ، وأرباب النفوذ من ذوى الأعمال : « إن العلم جميل في أرسقراطيته ، ولكن الذى نريده ، والذى نريده هذه المدينة الناهضة ، هو التعاون بين علمك وصناعتنا . نريد أن نعلم هل يزيد العلم في مكاسبنا . زد يا هذا في الحقل مقدار السكر في بنجرنا ، وزد في المصنع مقدار الكحول المتقطر من سكرنا ، ندر عليك الخيرات ، وتقول معاملك بالرايات »

سمع بستور ما سمع في أدب واحتشام ، ثم أخذ يريهم كيف يستجيب العلم إذا دعاه الداعي . فانه لم يكن رجل علم حسب ، بل كان رجلاً خبيراً بأمور دنياه وسنن العيش فيها . تصور جماعة من أرباب الأعمال يأتون « نيوتن » Newton ، فيسألونه ماذا تستفيد مصانهم من قوانين حركته ، إذن لرفع يديه إلى السماء واستعاذ منهم بالله ، ولذهب من بعد ذلك إلى انجيله يقرأ كتاب دنيا ويدرس مافيه من نبوءات . ولو أنهم جاءوا فرادى Faraday إذن لآثر صناعته الأولى ، وعاد إلى تجليد الكتب وحزم الأوراق . ولكن بستور كان من أبناء القرن التاسع عشر ، يعرف حق المعرفة أن العلم لابد أن يكسب خبراً يومه إذا هو أراد الحياة . لذلك بدأ يحاضر أهل البلد فيه ، ويدبر لهم المحاضرات الشيقة ليخطب ودمم ويكسب عطفهم

وفي ذات مساء كان يخطب في جمع من أرباب المصانع وأزواجهم ،

ييجو من هذا ؟ وما الذى أصاب الأحواض المريضة فتعطّلت ؟ » واختطف القارورة التى بها ما كان اغترفه من حوض مريض ، وحدّق فيه بمنظار مكبر ، وشتمه ، وذاقه ، وغمس فيه ورقة زرقاء فاحمرت (١) ... ثم وضع قطرة منه تحت مكرسكوبه ونظر فيها
« عجبا ! أين ذهبت الحماير ، فليس فى هذه القطرة منها شئ ؟ ما هذا ؟ ما معناه ؟ »

وتناول القارورة مرة أخرى ، وأخذ ينظر ويفكر ، ولا ترى عينه فيها جديداً . وبينما هو يرّكب فى التمليل الخيال ، ويسوم ذهنه طلب المحال ، إذا بالسائل فى القارورة يتراءى له فى صورة جديدة تبعث فيه أملاً جديداً . « ماذا أرى ؟ بقعا صغيرة دكناء لاصقة بجدار القارورة . وهذه بقع أخرى مثلها تطفو على سطح سائلها المريض — إذن صبرا ... لا . إنها لا توجد فى القارورة ذات السائل الصحيح حيث الحماير والكحول . » ثم غاص فى القارورة المريضة ، وبشئ من العناء استطاع أن يخرج شيئا من تلك البقع فوضعه فى ماء نقي ، ثم علاه بمجهره هذا يوم « بستور » جاء أخيراً !

لم يجد فى هذا السائل كريات الحماير . لا ، ولكنه وجد شيئا جديداً ، شيئا لم يره من قبل ، أحياء صغيرة كثيرة شديدة الزحام ، شكلها كالمصّ ، بعضها قائم وحده ، وبعضها متقاطر كالابل ، وكلها رقص فى ارتعاد غريب لا هداة له . كانت الحماير فى عينه صغيرة فجاءت هذه تصاغرها فتصغرها كثيراً ، فلم يعد طولها جزءاً من ألف من المليمتر

وفى هذه الليلة أرق « بستور » طويلاً ، وتقلب فى مضجعه طويلاً ، وفى الصباح كنت تراه يُبحر جرّ ساقيه الفيلظين القصيرتين إلى مصنع « ييجو » ، وبظلاله المنحرفة على بصره القصير ، مال على حافة حوض مريض لم يكن أنه من قبل ، وجرف من قاعه بعض الذى فيه . ثم مال على أحواض مريضة غيره . ونسى « ييجو » ، ونسى أنه إنما بدأ هذا العمل لمونة « ييجو » . اختفى « ييجو » من فكره ، واختفى كل شئ فى الوجود إلا نفسه الشمامسة البجائة ، وإلا تلك المصّى الرائعة الغريبة التى وجد الآلاف المؤلفة منها فى تلك البقع الكدمات الصغيرة ...

(١) هى ورقة عباد الشمس واحمرارها دليل وجود حامض بالسائل المترجم

فصاح فيهم : « من من أبنائكم لا ينهض للدلم توما ، من من أولادكم لا يتحرق للعلم تحرقاً ، إذا أنا وضمت فى يده بطاطسة ، وقلت له : إنك تستطيع أن تخرج من هذه البطاطسة سكرآ ، وتستطيع أن تخرج من هذا السكر كحولاً ، وتستطيع أن تخرج من هذا الكحول خلا وأثيرآ ؟ » . ومضت على هذا أيام ، فجاء أحد الذين حضروا خطابه ، وكان رجلاً يدعى « ييجو » ، وكانت صناعته تقطير الكحول من سكر البنجر المختمر ؛ جاء يتوسل للأستاذ : « سيدى ، أنا فى حرج من صناعتى ، فاختار البنجر لا يتم على وجهه ، وخسارتى تبلغ ألوف الفرنكات فى اليوم ، فبودى لوجئت مصنى ، ونظرت فى معونتى ، فأقذنتى من خباتى » وكان ابن « ييجو » طالباً فى قسم العلوم بالكلية ، فأسرع « بستور » إلى معونة أبيه . فذهب إلى مصنع التقطير ، وأخذ يتشمّس فى الأحواض المريضة ، تلك الأحواض التى تأبى أن تخرج من البنجر كحولاً ؛ وانكب عليها ، واغترف منها ، فكان شيئاً مختلطاً أدكن هلاميّاً ، فوضعه فى قارورات وحمله الى معمله . ولم يفقه أن يقترف كذلك من لبابة البنجر من الأحواض الصحيحة السليمة المختمرة الراغية بما تنتج من كحول كثير . ولم يكن « بستور » يدرى كيف السبيل لمونة « ييجو » ، لأنه لم يكن يدرى كيف يختمر السكر فيستحيل كحولاً ، ولم يكن فى الدنيا كلها كيميائى يعرف عن ذلك شيئاً . عاد إلى معمله ، وأخذ يحك رأسه وهو يفكر ، ثم استقر رأيه على أن يمتحن ما اغترفه من الأحواض السليمة أولاً ، فوضع قطرة منه تحت مجهره ، ولعله كان يحسب أنه سيرى بلورات كنتلك اتى طال تحديقه إليها زماناً مضى ، ولكنه وجد هذه القطرة مليئة بكريات أصغر كثيراً من أية بلورة رآها . وكانت هذه الكريات صفراء ، وازدحم جوفها بمجسّيات كثيرة ترقص كأنما عن طرب ، وتتم لنفسه : « ليت شعرى ما هذه الكريات ! »

وأسمفته الذاكرة فصاح ثانية لنفسه : « يا للنسيان ! بالطبع هى الحماير التى تجدها دائماً فى كل محلول به سكر يختمر ليصير كحولاً » وأعاد النظر فأبصر هذه الكريات فردى ، وأبصر طائفة أخرى منها متنفدة ، وأبصر أخرى متقاطرة . ثم حدّق فدهش لرؤية بعضها قد تنبتت جوانبها كما تنبت البذور الصغيرة ، فقال : « لقد صدق كنيارد ، فهذه الحماير حية . ولا بد أنها هى التى تصير السكر كحولاً . ولكن ما فائدة

العصى في عصير البنجر السكر وفيه ما فيه من أخلط عدة . لا بد لي من عصير رائق أتتبع فيه ما تصنع هذه العصى . لا بد لي من ابتداء مرق صاف به غذاء طيب خفيف لها ، أسما فيه ، ثم أرقها لأرى هل تنكأ ، هل تتوالد ، هل أجد في هذا المرق بعد حين مكان العصا الواحدة عصياً رافضة كثيرة ؟ »

ووضع شيئاً من تلك البقع الكدمات التي كانت بالحياض المريضة في محلول من سكر نقي ، فوجد أن العصى لا تنكأ فيها ، فقال : « إنها تريد غذاء أمراً من هذا » . فجرب يطلب الغذاء المريء غلاب . ثم جرب وخاب . وأخيراً صنع لها مرقاً غريباً بأن أخذ شيئاً من خميرة جافة ، فأغلاه بالماء ثم صفاه ، وأخذ مرقه الرائق فأضاف له شيئاً من كربونات الكلسيوم ليضيق ما قد يحدث فيه من حموضة . وأتى بارة فغمسها بالبقع الدكناء بالحياض المريضة ، وحمل ما علق بطرفها الرفيع من العصى الصغيرة إلى مرقه ودافها فيه . ثم وضعه في قارورة وضما في فرن دافئ للتفريخ ذي درجة حرارة ثابتة ، وأخذ ينتظر في قلق واضطراب . إن لعنة هذا البحث ، بحث الكروب ، يجدها الباحث دائماً في هذه الخبيثات المتوالية الكثيرة التي تموت النجاس طويلاً

وذهب فأضى رُجَمَات ، وألقى محاضرات ، وعاد إلى قارورة ينظر إليها وهي في مدفئها . ومضى مرة أخرى فألقى فلاحين جاءوا يستنصحوه في محاسيلهم وأحمدتهم فتمسحهم بالذي ارتآه . وجاءت أوقات الطعام فابتلع منه ابتلاعاً ولم يعر مما أكل شيئاً . وعاد فنظر إلى قارورة واضطرب . وذهب إلى سريره جاهلاً بالذي يجري في تلك القارورة ، وليس من اليسير النوم في مثل هذه الجمالة . . .

وجاء الصباح ولم يظهر على مرق القارورة تغير . وجاء الظهر ، ومضى أكثر النهار ، فأحس رجله تنقلان من الخيبة مرة أخرى . وجاء المساء وتمت لنفسه : « يظهر انت كل تلك الحمايل الرائقة لن تأذن لهذه العصى اللينة بالتزايد فيها . ومع هذا فلأنظر مرة أخرى . . . »

وكان في معمله مصباح واحد من الغاز بضئيه ، وقع بين الأجهزة الكثيرة فألقى على الحوائط خيالات كبيرة مروعة . قال هذا الصباح رفع بستور قارورة ، ثم همس يقول : « لاشك أن شيئاً قد تغير في هذا المحلول ، فاني أرى فقاعات صغيرة من غاز

ولما جاء الليل أخذت زوجه تنتظره لينام ، فلما يئست ذهبت إلى الفراش وحدها ، وتركته ينصب الجهاز تلو الجهاز حتى ازدحم معمله بها . ووجد أن جميع السوائل بالأحواض المريضة تحتوي حامضاً عرف أنه حامض اللبن^(١) ، وأنه ليس بها كحول . ولم يلبث أن خطر له خاطر غمّر فكره كله ، وملأ رأسه أجمع : « إن هذه العصى بالسوائل الرقيقة حيّة ، وهي هي التي تصنع حامض اللبن ؟ وهي ربما تشتجر مع الحماز في قتال شديد فتقضي عليها فلا تنتج كحولاً . إن هذه العصى تصنع حامض اللبن كما تصنع هذه الحماز الكحول » . وهرول إلى السلم ، فصعد إلى مدام « بستور » يخبرها بالذي وجد - مدام « بستور » التي لم تعرف من التخمر والحماز شيئاً ، مدام « بستور » التي لم تفهم من علمه إلا قليلاً ، إلا أنها فهمت نفسه المتحمسة وروحه الوثابة ، فأعانتها بمطهرها وجبها كثيراً

بالطبع لم يكن الذي ارتآه إلا ظناً ، ولكن قام في نفسه شيء يوسوس له أن هذا الظن حق لا مريبة فيه . لقد تظن « بستور » مئات الرات فيما وقع عليه بصره القصير من مئات الظواهر في الطبيعة التي حوله . وكانت ظنوناً خاطئة . ولكنه إذ وقع هذه المرة على ظن صادق ، إذ خال أنه أصاب تفسيراً لظاهرة التخمر التي أشكلت على القرون من قبله ، أخذ يمتحن هذا الظن ، ويفحص هذا الخال ، ويقلبه ، ويداوره ، ويتقرى الحقيقة فيه حتى وصل إلى كنهها

وبينا ازدحمت في رأسه الخطط الكثيرة لتقرى كنه هذه الحقيقة ، لم يفته أن يمين أبواب العمل على مصاعبهم ، ولا أهل الحكم إذا دعوه إلى نصيحة ، ولا المزارعين إذا جاءوه ، ولا الطلبة إذ طلبوه . وحول جزءاً من معمله لاختبار الأسمدة الكثيرة التي كانت تأتيه . وهرع إلى باريس يدبر لانتخابه عضواً في أكاديمية العلوم فافلح . ورحل بتلاميذه إلى معامل الجمة في « فالنسين » Valenciennes وإلى مسابك الحديد في بلجيكا . وفيما هو في هذا ، تراءى له يوماً أنه اهتدى إلى الطريقة السوية التي ثبتت بها أن هذه العصى القصيرة الصغيرة تحيا حياة الخلاق ، وأنهما على صغرهما ، وعلى قصرها ، وعلى حقارتها ، تفعل فعل المعلقة - تفعل ما لا يستطيعه المعلقة : تحيل السكر إلى حامض اللبن حدث « بستور » نفسه قال : « لا يمكنني أن أدرس هذه

(١) هو نفس الحامض الذي باللبن المختبر المسى بالزبادي

« بستور » لم يحفل بذلك ، فكل الذي احتفل له كشفه الحقيقة الآتية : « أن التخمر مرجعه الحق إلى أحياء تدق عن النظر »



وبكل سذاجة أخبر كل من لقي أن كشفه هذا كشف عجيب . كان فيه شيء من بساطة الطفولة فلم يحس بالحاجة في هذا إلى التواضع والتخاضع .

المصى البكتيرية التي تحول السكر الى حامض اللبن ، و يوجد منها الملايين في اللبن الزبادى المبرود

ومن هذا الوقت ملأت تلك الحمار الصغيرة دنياه .

أكل وشرب ونام واحتلم وأحب . وأتى كل هذا ولم يستغرق في شيء منه . وأتى كل هذا وخمائه إلى جانبه لا تفارقه . إنها كانت روحه التي ينبض بها

وكان يشتغل وحده ، لا معين له إلا نفسه ، فلم يكن له حتى خادم واحد يفصل له قواريره . وكأني بك تتساءل فكيف إذن وجد من يومه الفراغ لاحتواء هذه الأحداث الكثيرة المتراحمة ؟ والجواب أن هذا رجع بعضه إلى نشاطه الجم ، ورجعت بقيته إلى مدام « بستور » . قال « رو » Roux^(١) : « إن مدام بستور أحبته حباً كادت به تفقه أبحاثه » . كانت الزوجة الطيبة تخلص من خدمة أطفالها ووضعهم في الفراش ، وعندئذ قد تسهر وحيدة تنتظر انتهاء من عمله لتسوقه إلى النوم ، أو كانت تجلس بجانب زوجها في اعتدال على كرسي ليس بالريح إلى نضد صغير تكتب ما على من مقالات علمية طويلة ، أو كانت تتركه يكب على قواريره ويفكر في أنابيبه وتظل في حجرها تبيض ما كتب من ملاحظات كنبش الدجاج في خط واضح جميل . كان « بستور » روحها ، وكان روح « بستور » عمله ، فأخذت هي تذوب في روح بستور - في عمله - حتى امتحت فيه

أحمد زكي

يتبع

تصحيح - جاء في القال السابق صفحة ٦٢٨ : « والردى رواسب الحجر التي توجد في الدنان ، وهي مفيضة » والصواب « ... وهي مفيضة اذا اتحدت بأ كيد الأنتيون »

(١) هو Pierre Roux تلميذ بستور ومساعدته في حياته ، وخلفه في مهده بعد مماته ، ولد عام ١٨٥٣ ومات حديثاً واسترجع له ضمن بحاث المكروب

تصعد متقاطرة متحاذية من تلك الجسيمات الذكناء التي لقيت الحلول بها . وقد زاد مقدار هذه الجسيمات عما كان بالأمس ، وكلها تُخرج هذه الفقاعات . وعندئذ أغمض بستور عينيه ، وأصم أذنيه ، وعقد لسانه عن الدنيا ومن فيها . وبقي في غيبوبة عند محضته^(١) الصغير . ومضت ساعات تنلو ساعات ولعله لم يحس بها . ورفع قاروره برفق وحنان ، وحركها في الضوء بلطف وثيد ، فصعد من قاعها شيء كالغمام الاقم دار صاعداً كاللؤلؤ ، وخرج منه غاز كثير . والآن فالى المجهر . . .

قطر قطرة من السائل تحت مكرسكوبه . يا الشياطين الأرض وملائكة السماء ! إنها مليئة تعج بالملايين من تلك العصى الراقصة . وهى لنفسه في لهفة : « إنها تتكاثر ! إنها حية ! » . ثم صاح يجيب زوجه : « نعم ، نعم ، سأصمد بعد قليل » . وكانت تدعوه من عل إلى لقعة ، وكانت تدعوه إلى نومة . ومضت ساعات وهو باقٍ تحت في معمله

وفي الأيام التي تلت أعاد بستور التجربة ، فوضع قطرة ترخر بتلك العصى في قارورة جديدة بها مرق من مرق الخبز رائق جديد ليس به عصا واحدة ، وفي كل مرة امتلأ الرق بالملايين من تلك العصى ، وفي كل مرة تكون حامض اللبن فيه . ثم صرخ « بستور » بأعلى صوته يخبر الدنيا ، فلم يكن بالرجل الصبور . وأخبر المسيو « بيجو » أن الذي أرض أحواضه هي هذه العصى الحية : « يامسيو بيجو ، حل بين هذه العصى وبين حياض بنجرك ، تحصل فيها دائماً على الكحول الكثير » وأخبر طلبته بكشفه الكبير ، بأن هذه الخلائق البالغة الصغر تستطيع تخريج حامض اللبن من السكر ، وقال لهم إن هذا الشيء لم يستطع

رجل ولن يستطيعه . وكتب بالخبر إلى أستاذه القديم « دوماس » ، وإلى جميع أصدقائه . وحاضر فيه للجمعية العلمية بمدينة « ليل » ، وكتب مقالاً فيه وبمته إلى أكاديمية العلوم بباريس

ليس في الامكان اليوم أن تؤكد أن « بيجو » استطاع أن يمنع دخول هذه العصى إلى سكره المختمر ، فهذا ليس بالأمر اليسير . ولكن



كريات الحمار الحية مكبرة ٦٠٠ مرة

شاعرنا العالمى

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

نمحوه :

الشعراء العالميون في شعراء العربية قليلون ، وإنهم ليلامون من القلة بحيث إنك لا تكاد تبلغ بهم عدد أصابع اليد الواحدة ، وهذا بينا ترانا الآن نعرف من أسماء شعراء أوروبا في هذا العصر أكثر مما نعرف من شعرائنا الأقدمين ، وندرس من شعرهم وأدبهم أكثر مما ندرس من الشعر والأدب العربيين ، حتى أصبح الشعر والأدب الأوروبيان فتنه شباننا الناشئين ، يكلفون بهما أكثر مما يكلفون بشعرنا وأدبنا ، ويصرفون جل أوقاتهم في دراستهما ، وتعرف طرائقهما حتى ظهر أثر هذا في شعرهم ، وصرنا نرى بهذا في الشعر العربي أساليب كثيرة ما كان يعرفها من قبل ، ومعاني جديدة تغزوه كما يغزونا أصحابها برجلهم وأسلحتهم ، وأموالهم ومصنوعاتهم

وربما يكون أبو العتاهية أول شاعر عربي بلغ هذه المنزلة الشعرية العالية ، وكان له شعر عالى تتسابق الأمم المختلفة اللغات إلى روايته ودرسه ، وترجمته إلى لغاتها وإذاعته في بلادها . قال أبو الفرج : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي إجازة قال : حدثني الرياشي قال : قدم رسول ملك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية وأئمنده شيئاً من شعره ، وكان يحسن العربية ، فضى إلى ملك الروم وذكره له ، فكتب ملك الروم إليه ، ورد رسوله يسأل الرشيد أن يوجه بأبي العتاهية ، وبأخذ فيه رهائن من أراد ، وألح في ذلك ، فكلم الرشيد أبا العتاهية في ذلك ، فاستغنى منه وأباه ، واتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينتيه وهما : ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك إلا لقل السلطان عن مليك قد انقضى ملكه إلى مليك

وهما في الحق بيتان جديران بأن ينالا مثل هذه العناية من ملك الروم ، فما أحسنهما عظة بالغة ، وما أصدقهما حكمة نافعة ، وما أجمل أسلوبهما في سهولته وامتناعه ، ولكن علماءنا جازاهم الله لا يقدرّون من هذا ما قدره ملك الروم لأبي العتاهية ، وقد ينظرون إلى هذين البيتين إذا قرأوها إلى صناعتها اللفظية ، ولا يهتفون منها هذا المعنى الجليل الذى عنى به ملك الروم ، وربما يصيرونهما بما يسمونه التضمين الذى عابا به بيتي النابغة الذبياني : ومهم وردوا الحيفار على عجم وهم أصحاب يوم عكاظ إني شهدت لهم موأطن صادقات شهيدن لهم بحسن الظن مني والتضمين عندهم هو تعليق قافية بيت بما بعده بحيث لا يتم الكلام إلا به ، وهذا بأن يكون جواب شرط أو خبراً أو نحوها لا نمناً أو نحوه من التواضع والفضلات ، فلا يرضيهم إلا أن يكون لكل بيت من القصيدة وحدة مستقلة عن البيت الذى قبله ، والبيت الذى بعده ، ولا يكفهم أن تكون القصيدة كلها وحدة يصح أن تتصل أبياتها بمثل هذا التضمين الذى يمدونه من عيوب القافية ، ويصح ألا تتصل به إذا اتصلت بأمر آخر غيره ، وربما يكون اتصال أبياتها بمثل هذا خيراً من تقاطعها وتباعدها ، والاكتفاء في الربط بينها إذا عني به بمثل قولهم (دع ذا أوعد عن ذا) وقال أبو الفرج : أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ، وعمى الحسن بن محمد وحبيب نصر المهلبى ، قالوا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : مرّ عابد براهب في صومعة فقال له : عظمي ، فقال : أعطك وعليكم نزل القرآن ، ونبىكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قلت : نعم ، قال : فانمظ بيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول : تجرد من الدنيا فانك إنما وقمت إلى الدنيا وأنت مجرد وكلا هذا وذاك يثبت لنا من أبي العتاهية شاعراً عالياً نباهى به من يباهينا بشعرائه العالميين في القديم والحديث ، على قلة هذا الصنف من الشعراء عندنا ، ونادرة الشعر العالمى في شعرنا ، وبهنا الآن أن ندرس العوامل التى كان لها أثرها في هذا الأمر إلى ظهور شاعرنا أبي العتاهية ، لنعرف كيف ظهر في الشعر العربي بهذا المظهر ، ونعرف حال العصر الذى نشأ فيه ، وكيف كان أثره في شعره

فيه : (عُنْجَرْد قَيْدُ الْأَوَايِدِ هَيْكَل) ، ولا يكادون يجاوزون هذا في بيان الفرق بين حال الشعر العربي قبل امرئ القيس وحاله بعده

وقد شغف الشعراء بعد امرئ القيس بصناعة البديع في شعرهم ، وكانت حياتهم البدوية تضيق بهم ، وتضيق بمقوله وأفكارهم ، فوقفوا بالشعر العربي عند معان محدودة ، متأثرة في ضيقها وعدم اتساعها ، وقلة أثر العقل المثقف فيها بضيق تلك الحياة ، وقلة أثر الثقافة فيها ، وأخذوا يدورون حول تلك المعاني كما تدور الرحى حول محورها ، لا يتصرفون فيها إلا بتشبيه أو استعارة ، أو مجاز أو كناية ، أو نحو هذا من تلك الصناعة التي تنافسوا فيها ، حتى وصلوا بها في سجع كهانهم إلى آخر حدودها ، فكان لهم فيه سجع متكلف مرذول ، لا يقل قبحا في تكلفه عن السجع الذي تكلف به الإسلام في آخر العصر العباسي ، إلى أن ظهرت هذه النهضة الحاضرة

ثم جاء المتأخرون من شعراء هذا العصر ، فزادوا الطين بلة ، واتخذوا الشعر تجارة ، وتكسبوا به في المدح والمهجاء ، وداروا به في تلك المعاني لا يكادون يتجاوزونها ، أو يحسنون شيئا سواها ، فساء أثر هذا الشعر في الأمة العربية ، وصار شعراؤه معاول هدم في بنائها ، وقد جدوا على ما ألفوه من هذا جوداً أمتهم على أوثانها وأصنامها

وفي وسط هذا الجمود الأدبي ، وذلك الضيق الفكري ، ظهر الإسلام يدعو العرب إلى دين يأخذ بهم من عزائمهم ، في هذا الضيق وذلك الجمود ، إلى معترك الحياة الذي تتلاقى فيه الشعوب ، وتجتمع متنافسة في وسائل الرق والهوض ، حاربته أولئك الشعراء وحاربهم ، لأنهم رأوا فيه خطراً على ما جدوا عليه في صناعتهم ، ورآهم هو من الجمود وضيق الفكر بحيث لا يصلحون ولا يتفق شعرهم مع دعوة هذا الدين الجديد ، ورأى أنه لا يتفق معه إلا أدب مثقف يعني فيه بالمعاني الأصلية السامية ، أكثر مما يعني بتلك الصناعة التي تضيق فيها تلك المعاني ، ويتلاعب فيها بما يسمونه المعاني الثانوية التي لا يصح أن تؤثر في حال من الأحوال على المعاني الأصلية ، ولا شك أنه كلما أوغل الشعر والأدب في إثارة تلك الصناعة بعدا عن هذه الغاية

يجرى مؤرخو الآداب العربية على أن الصناعة البديعية لم تظهر في الشعر العربي ، ولم يكلف بها شعراء العرب إلا في العصر العباسي ، بعد ظهور أبي تمام وأضرابه من الشعراء الذين حذوا في ذلك حذوه ، واستنوا فيه سنته ، ثم زادوا عليه فيه حتى جعلوا من الشعر صناعة لفظية ، لا تنطوي على معنى جليل ، أو غرض نبيل ، وإنما هي ألفاظ جوفاء لا طائل تحتها ، ولا تهم الناس في أمر دينهم أو دنياهم

أما أنا فأرى في هذا ما يخالف رأيهم فيه كل المخالفة ، أرى أن الصناعة البديعية كانت موجودة في الشعر قبل الإسلام ، وأرى أن الشعراء قبله كانوا يقصدون إليها في شعرهم ، ويتكلفونها فيه كما تكلفها فيه أبو تمام ومن أتى بعده ، وإن أربوا في ذلك عليهم ، وقصدوا إليه أكثر منهم ، وأرى أن أبا تمام لم يفعل إلا أن جدد هذه السنة ، ونهج في شعره على منوالها ، بعد أن كاد الشعراء العباسيون قبله يسلكون بالشعر مسلكاً جديداً يخالف هذا السلك ، ويتلام مع العصر الذي ظهوروا فيه كل الملازمة

وكان امرؤ القيس أول من عني بالصناعة البديعية في الشعر العربي ، فتكلف منها ما لم يتكلفه أحد قبله ، وتزاحمت في شعره الكنایات والمجازات والتشبيهات والاستعارات وما إليها ، فشكل هذا من الصناعة البديعية ، واسم البديع يشمل عند القدماء التشبيه مثلاً ، كما يشمل المقابلة والجناس ونحوهما

وقد ضاع أكثر شعر القدماء قبل امرئ القيس ، فلا نعرف مقدار ما كان فيه من تلك الصناعة ؛ والذي نرجحه أنه كان لا يخلو منها ، ولكن الذي كان يغلب عليه العناية بالمعاني الأصلية ، فكانت تظهر فيه على فطرتها في غير تصنع ولا تكلف ولا اجتهاد في تحسين ، يأتيها بتصرف الخيال فيها بتشبيه أو كناية أو نحوها

وغاية ما ذكره علماء الأدب في ذلك أن القدماء قبل امرئ القيس كانوا يقولون في المرأة الحسنة : «أسيلة الخلد ، تامة القامة أو طويلتها ، جيداء أو طويلة العنق ، » فقال امرؤ القيس في هذا : أسيلة مجرى الدمع ، بعيدة مهوى القرط ، وكانوا يقولون في الفرس : يلحق الغزال ، ويسبق الظليم . فقال امرؤ القيس

(إن الله عليم خبير)

وعلى هذا قامت الدعوة العباسية الهاشمية ، فنشأت دولة إسلامية محضة ، وكانت للعرب كل كانت للفرس وللقبط وللبربر وللترك ولغيرهم من الشعوب التي دانت للإسلام ، وقليل من الناس من يفهم كما نفهم كيف قامت هذه الدعوة ، وأنها كانت ثورة دينية سياسية أدبية ، قام بها العباسيون ومن ناصرهم من الفرس وغيرهم ، وأن غايتها كانت إقامة دولة للمسلمين لا للعرب خاصة ، وانتهاج خطة جديدة تأخذ فيها بيد كل الشعوب التي دانت للإسلام ، لتشارك في بناء الوحدة الإسلامية ، وقد كان لهذا أثره العظيم في الدين والعلم والأدب والشعر ، إذ أخذ العلماء من كل الشعوب يشتركون في بناء هذه الوحدة ، وأخذ الأدباء والشعراء يقضون في الأدب والشعر على تلك النعرة العربية ، ويعملون على تسهيل الشعر للناس ، وتقريبه لتلك الشعوب الأعجمية التي رفعت رؤوسها في تلك الدولة ، وكان أكثر أولئك الشعراء من أصل غير عربي ، فأنهزوا فرصة قيام دولة العباسيين وإنصافها لهم ، وقاموا بثورتهم الأدبية في عنف وشدة ، حتى صاروا في الشعر أعلام هذه المدة من العصر العباسي ، وضعف شأن الشعراء الذين كانوا من أصل عربي ، إذ جدوا في شعرهم على نعرتهم العربية ، وعنايتهم بتفخيم لفظ الشعر ومجويد صناعته أكثر من عنايتهم بتثقيفه وتهذيبه ، والتفنن في معانيه وأغراضه ، وقد عاد شأن هؤلاء الشعراء إلى الظهور حينما ظهر أبو تمام والبحترى وأضرابهما من الشعراء الذين تأثروا بأصلهم العربي ، وأخذوا يمددون بالشعر إلى سنته القديمة

ولعل هذا الاسم (عصر الثورة العباسية) هو الاسم الذي يجدر أن تسمى به تلك المدة من ذلك العصر ، فهو خير مما يسمونها به (صدر الدولة العباسية) وكثير منهم لا يراعى ما يمتاز الأدب به في هذه المدة عما بعدها من هذا العصر ، فيجمل العصر العباسي كله عصرًا واحدًا ، ويجري في هذا على ما كانوا يعتادونه من تقسيم عصور الأدب العربي إلى أقسام سياسية محضة ، تتبع قيام الدول العربية وسقوطها ، ولا تتأثر بغيرها في بدئها ونهايتها ، وقد كان أعلام الشعر في هذه المدة هؤلاء الشعراء الثلاثة - بشار - أبو نواس - أبو المتاهية - فلنوازن بينهم فيها

عبد المتعال الصعبي

السامية التي يراد لها فيها أن يتفق مع هذا الدين ، فيكونا للبشر كافة ، لا للعرب خاصة ، ولا تقف تلك الصناعة حائلًا دون فهم الناس لها ، أو الناية فيهما بما يعنيه منهما

فإذا أردت أن تعرف نظر الإسلام إلى ما كان عليه الشعر والأدب العربي من هذا كله إبان ظهوره ، فانظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له بعضهم يتشادق في كلامه تشادقهم : « يارسول الله ، أرايت من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس مثل ذلك بطل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منكرًا لهذا منه : أسجع كسج الجاهلية ؟ » وانظر إليه صلى الله عليه وسلم يفخر بنشأته على بغض هذا الشعر فيقول : (لما نشأت بُغِضْتُ إلى الأوثان وبغض إلى الشعر ولم أهتم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله . الحديث) . وانظر إلى قوله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) ، وقوله أيضًا في سورة الشعراء : (والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وقد انقضى عهد النبوة وعهد الخلافة في محاولة إصلاح الأدب العربي ، والوصول بالشعر إلى تلك الغاية النبيلة . ثم جاء بعد هذين المهدين عهد بني مروان ، وهم من بني أمية الذين كانت تغلب عليهم النعرة العربية ، لما كان لهم قبل الإسلام من الرُعامة في قريش ، وهذه النعرة هي التي وقفت بهم على رأس المناوئين للدعوة العامة التي أتى بها الإسلام ، حتى أنهم لم يسلخوا إلا بعد فتح مكة والسيف مُصلَّت على رؤوسهم ، وهي التي تأثروا بها في سياستهم حينما آل أمر المسلمين إليهم ، فرجعوا بالشعر إلى نعرة العربية ، وحولوه عن وجهته الإنسانية التي أخذ يسير فيها على عهد النبي وخلفائه الراشدين

فوقف لهم بنو عمهم من بني هاشم ، قوم النبي وعشيرته الأقرين ، وهم الذين كانوا أول من بادر إلى الإيعان بدعوته ، وفهموا حقيقة ما يدعو إليه ، وعرفوا أن هذا الدين للبشر عامة ، لا للعرب خاصة ، وأنه لا يصح أن يكون فيه فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى (بأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم

تحية مولود

للأستاذ محمود غنيم

تمادوا بشكواهم

للأستاذ فخرى أبو السعود

سركَ اليومَ قولهم أم ساءك حينَ قالوا : هذا غلامُ جاءك ؟
جانبُ الله من شبابك ولّى فدعَ اللهوَ ينتظرُ أبناءك
وتحملُ عبءَ الأبوةِ يا ويحك لم يحملِ امرؤُ أعباءك
أيها الطارقُ الجديدُ سلاماً أسألُ الصبحَ إن أسأتُ لقاءك
علِمَ الله ما كرهتكَ ضيفاً لا ولكنى كرهت شفاءك
بتُّ أخشى عليك جورَ الليالى فالليالى ما أنصفتُ آباءك
غيرَ أنى أسيتُ رغم شعورى أعنى على الزمان بقاءك
وأراى إذا أصابك سوء أبذلُ النفسَ والنفسَ فداءك
ساءنى يا بنى أن كنتَ نجلاً لى فكنت أبوتى لك داءك
أى ذنبٍ جنيتَ فى المهد حتى يصحَّ الممُّ فى الحياة جزاءك
ليت شعرى أقانعَ أنت أم لو تستطيعُ الكلامُ تبدى استياءك
أفتدري كم بتُّ أرفو كدائى وأودى بكل زاه كداءك
وإذا ضنَّ ندى أُمك يوماً بالحيا جعتُ والتستُ غذاءك
ولقد أسمعُ الرعودَ تدوى فى ثباتٍ ولا أطيقُ بكاءك
كم حملتُ البكاءَ سيقاً صقيلاً إن تلوخ به يُنلك رجاءك
دمعةُ الطفل من دموع الفوانى صاحِ صُن من كليهما أحشاءك
أنت فى مهدك الصغيرِ أميرٌ فوق عرش برجو الجميع رضاءك
فتحكم ترَ الذكورَ عبيداً لك فى البيت والإناث إماءك
هو عرشُ أسائه الحبُّ لا بط شك نخشى ولا نروم عطاءك
أتراها جنابةً أم تراها مِنّة تستحق منك ثناءك
ليتنى عشت مثلاً عشتَ فرّاً تُنمض المقتلين عما وراءك
إتنى يا بنى أسكن أرضاً دائماً همها فصف لى سماءك
قد توارت طفولتى فى ظلام ١١ غيب فأنشر على دجاها ضياءك
لكائى نشأت خلقاً جديداً يوم ناديت فاستمعت نداءك
يا دقيق البنان والتد جلّت يدُ مثال صوّرت أعضائك

لقد زهدتني فى القريض معاشر كان ليس غير البؤس للشعر ملهم
قوافيهم آه فواه فمبرة تمادوا بشكواهم فمكت وأصبحوا
أكل أخى شعر خدين بلابل يحلون أن الشعر يزداد رقة
فهذا شكا فى جنبه ألف طمئة وهذا شكا فى كل جارحة سهما
وذا صدره نار وعينه ديمة وأضلاعه حرى وأحشاء كلنى
وذاك بطى ليله متطول يساهر فيه وحده الافق والنجا
وذلك أضواء وأوهى اضطباره
غرام مثنى فى جسمه ينجل الجسا
وذلك يبكى كالوليدة ساخطاً بلاسبب يدري ولا غرض يُسنى
وذلك يشكو دهره ويذمه ويرزم أن الدهر أوسمه ظلماً
يكلف باع الدهر ما لا يطيقه ويُنحى عليه - حين يمنه - لوما
يود لو أن الدهر يأتيه بالمنى جميعاً ولم يدأب ولا عقد العزم
وقد يبلغ الساعى إذا جد سعيه مُساء ولم يُلج الزمان ولا ذماً
يخال حياة الناس قارئ شعرهم بلاء فلا فنى هناك ولا رُحى
وكم فى رحيب الكون من نعم ومن تحاسن تُضي العين والروح والفهما
وكم عرّضتُ فبنا الطبيعة حسنها بلا ثمن غنا لمن بادَرَ الفنا
ترى فى مجالها وألوان حسنها عزاء لمن ياربى وريراً لمن يظنماً
ووجاً لشعر ينبذ الشكو والبكا ويستلهم الأنوار والروض واليما

فخرى أبو السعود

نم هنيئاً يركاك من شق عيني لك وأجرى بين العروق دماءك
علّ من وكّل البلى بردائى يجعل الخرز يا بنى رداءك
كروم حمارة

محمود غنيم

القصص

من أساطير الإغريق

إيخو ونركيسوس (١)

الفتاة التي أسابها البكم ، والجبل الذي عثى صورته

للأستاذ دريني خشبة

كان زيوس — كبير آلهة اليونان — يتمنّى فتاة حلوة اللد ، بارعة الحسن ، رقيقة الثمائل ، تدعى يو . وكان ، برغم زواجه الحسن أو البت ، يختلف إلى حبيته في الخلسة بعد الخلسة ، يؤانسها ويسامرها ، وتؤانسه وتسامره ، وييل فيه الظالم من ثمرها الراوى ، بقلبة . . . أورشفة . . .

وكانت أولى زواجه (حيرا) هي التي تزججه بما تبث حوله من الرقباء ، وتشر من الجواسيس ، يحملون إليها كل حركة من حركاته . وكان هو يضيّق بكل ذلك ، ولكنه لا يستطيع إلا أن يدهن ويداهن . . . ويبالغ في المداينة ، لشدة شغفه بحيرا ، ولأنه كان يحس في الخسوع لها لذة أولية لا تمدّها لذة . . . إلا لذة تدليله لحبيته يو .

وكما كانت حيرا تمسك مكرها في كل حين ، كذلك قد مكر الآله مكره . . .

أراد أن يشغلها عنه بملهاة تذهب من وقتها كل يوم بساعات يقضيها في أحلامه الغرامية بين يدى يو ، ملتذاً قوامها الخصب ، مستمتعاً ببهاها الفستان ، ساجداً في هذه للبلجة الترة بالفتان ، في كل جراحة من جسمها المشوق وقد سنحت له الحيلة . . .

(١) آثرنا عدم ترجمة إيخو — أو إكو — بما يرادفها في العربية وهي لفظة (صدى) لأن التسمية يونانية وقد نقلها الرومان عنهم ثم دأبت في كل اللغات . وكذلك أثبتنا لفظة نركيسوس (نرجس) ليونانياتها أيضاً

حديثها عن فتاة فاضرة الشباب ، ريانة الأهاب ، عذبة اللسان ، وقادة الجنان ، تعرف من قصص الحياة وأبناء الدنيا ما لم يتيسر بمضه للآلهة أنفسهم أو كانت حيرا ، ككل الأثنيات ، مولعة بالثرثرة ، مشغوفة بالمعرفة ، تبغض الصمت وتفرم بالكلام الطويل الموشى . وهي مع ذلك طُلعة ، بقدر ما هي أذن ، تتكلم كثيراً ، وتثرثر كثيراً ، وتسمع كثيراً

وانطلقت إلى الفتاة فشغفت بها لأول لقاء ، ووجدتها ، كما حدث زوجها فيضاة القول غزيرة القصص ، تتدفق في حديثها تدفق الخمر في الكأس ، حتى إذا استقرت في مكانها من الجسم ، شاعت حُمياها فيه ، فأطربت ، وأرقصت ، كأنها عُصرت من حديث هذه الفتاة !

ثم جعلت تتردد عليها ؛ وما تسكاد الفتاة تفرغ من إحدى قصصها العجيبة حتى تأخذ في أعجب منها وأعرب ، وهي بين الآونة والأخرى ما تنى تنمق حديثها بالنكات الباردة ، والملح الرائحة ، مرسلّة المثل في مقامه ، والحكمة في موضعها ، في غير كلفة ولا غناء . ثم هي كانت رقيقة دقيقة ، لا تعمل السامع ولا تزهق الناظر . وكانت تقبل على سُخارها وكأنها تختص كلاً منهم بقلبها ، وكأنها تلقى إلى كل منهم بقرارة نفسها ، حتى ليحسبها كلُّ له وحده ، بما يحسبه تؤثر به من عطف ، وتغمره من ود ، وتزجى إليه من حبة . . .

وكانت حيلة صائبة من زيوس ، شغل بها حيرا طويلاً ، ليفرغ هو إلى يو . . . فيا للآلهة ! !

ولكنها شمعت من زوجها لفحة الصد ، وأحست فيه انقباضاً وجفوة ، فوفر في نفسها أن لا بد من أمر ، وأن هناك سرّاً أرى سرّاً ؛ فألت لتكشفن ما تغفلها فيه

وبثت عيونها ، وأرسلت أرسادها ، حتى استوثقت مما كان بينه وبين يو ، وحتى أدركت أنه قصد إلى إلهاها بهذه القصاصة الخبيثة ليفرغ هو إلى كُباناته وأوطاره !

إذا بصَحْبٍ يافع من الشباب اليناع يَمرون يبابها ، من دون أن يروها ، وهم يتحدثون أحاديث الصبي ، ويتسارعون سمر الفتوة ، ناعمين بأشهى مناعم الحياة

وظلت ترقبهم ، وتستذكر أياها الخوالى ، إذ الشمل مجتمع ، والرواد محدقون ، مرهفة آذانهم ، شاخصة أبصارهم ، قاهتزت هزة المحموم بالشجن ، المروع بالشجى !

وأطلت من كناسها ، فرأت الفلام الاغريقى المشهور ، « زركيسوس » الذى دَلَّه الآلهة بجباله ، وتام عذارى أثينا بنضارته وإشراقه . وأنه يتخلَّف عن أصحابه ، مأخوذاً بجبال زرجة حلوة اقتطفها من غصنها اللئاس وفنَّها المياد . ثم وقف يحدِّق فيها بيمينه المسولتين ، اللتين لَوَّتهما شمس الجنوب بهذه الصبغة السحَّارة ، وكنت مَلاهما بما سيب الفتنة ، تنتشر منهما في دنيا القلوب !

والسبيل في الغاب ملتوية متداخلة ... تيه يفضل فيه العابر ، ويياب أخضر لا يهتدى فيه السائر ؛ هنا منمرج لا يصل منه الانسان الى أمن ، وهناك منحنى لا ينتهى الى سلام . ولقد مضى الدليل مع الصحاب ، ولبث زركيسوس وحده ، يضرب أخماساً لأسداس

ولم تستطع ليخو حين أبصرت به أن تغلت من هذا الشرك المنتشر حوله ، تعلق بخيوطه السحرية القلوب والألباب ... فأحبهته بكل قلبها ، وأرسلت في نظراتها اليه نفسها تتمرغ تحت قدميه ، وتهمم بين قدميه ، كأنها خلقت له ... لا لها !

ولكن كيف السبيل الى التمييز عن هذا الهوى الملح والحب المخامر ، ولسانها في عُقال إلا من المقطع الأخير ، ينطلق في إثر الحديث ، أو اللفظة المفردة تردفها بصياح كل صائح ، وهُتاف كل هاتف ؟ !

وراحت تقتنى أثره ، من غير أن تشعر هي ، ودون أن يشعر هو ! وَتَقْصُ حُطاه وهي لا تتي ما تفعل ، وهو لا يدري كذلك ؛ فكان ديبته كديب القطا ، أو كوثب الضفادع . على أن حركة غير مقصودة أتت بها ليخو جملة يمتد أن أحداً من سكان الغابة يتبعه ، فصاح قائلاً :

« من ؟ ... »

فرددت المسكينة نداءه : « من ؟ ... »

ولا ندرى ما ذنب الفتاة التى ملأت أذنى حيرا سحراً ، ونفثت فيهما موسيقى وألحاناً ؟ لقد ظلمتها زوجة الآله الأكبر ، التى تحمل بالباطل لقب حامية النساء وحافظة الأجنة ، حين أقسمت لتسليتها الطلاقة والذلافة ، ثم لتسلطن على لسانها المي والحصر يُشقيانها ويُعذبانها !

لقد كان كل ما اتهمت الفتاة به أنها كانت سيباً في تمادى زوجها في غي حبه ، وإيماده في ضلالة هواه ؛ فنفثت في عُقد سحرها ، ثم قصدت إلى الفتاة المسكينة فبهرتها ، وأرسلت عليها شواظاً من غضبها ، وقذفتها برُقية من رُقاها المهلكة ، لم تستطع بعدها أن تلجج لسانها بكلمة واحدة تفرج بها عما في نفسها ...

وقهقهت حيرا حين حاولت الفتاة أن تتكلم فلم تستطع ؛ ثم شادت الخبيثة أن تظهر آية أخرى من آيات غدرها ، فقالت ، بعد أن نفثت نفثة ثانية : « أنا أسيك ليخو ؛ وأمن عليك فأطلق لسانك باللفظة المفردة ترسلنيها في ذيل كل كلام تسمعين ... اللفظة الأخيرة نجسب يا ليخو ... »

فرددت الفتاة المسكينة : « ليخو ! ! »

أما يو ، فقد نفذت اليها حيرا وصبت عليها من جام سحرها ما تحولت به إلى بقرة صفراء فاقع لونها ... نسوء الناظرين . ولهذا حديث طويل مشج ندعه الآن ، لنرى ما كان من أمر ليخو . . . دهشت الفتاة لبيانها أين ذهب ، ولصوتها الجميل أين ولى ، وللرخامة الفضية التى كانت تترقق من فيها الشئب كيف ضاعت ، ولهذا السحر الدنى كيف قضى على أولئك جميعاً ؟ !

لقد بكت كثيراً ، وتوسلت إلى الآلهة ، ولكن ... أين الآلهة ؟ لقد تصامسوا جميعاً ، لأن حيرا هي القاضية ، ولأنهم يشفقون أن تُفقد عليهم أسباب السماء كما أفسدت الأرض على عرائس البحر !

وأطلقت ساقها للريح ، فيممت شطر غابة ذات ماء وذات أفياء ، ثم إنها اتخذت لها مأوى في أصل سندبانة ضخمة الجذع ، معروشة الفروع ، وارفة الأذناب ، وأقامت ثمة تجتر أحزانها وتُسفر أشجانها ، وتقابل بين ماضيها السعيد وحاضرها الشقى ، وتسكب فيما بين هذا وذاك دموعاً ساخناً وعبرات غاليات ! وبينما هي ساددة في كهفها ، مستغرقة فيما آل إليه أمرها ،

وشاءت المقادير أن تنتقم لأينخو المذبذبة من هذا الشاب الجميل زركيسوس ، الذى حطم قلبها الغض ، وقضى على نفسها المحزنة . فبينما كان فى طراد عظيم ، فى يوم قاطظ ، عرج على حيلة ناضرة ملتفة الأغصان ، ليشرب من القدير الصافى الذى يترقق من تحتها . . . وما كاد ينحنى إلى الماء حتى رأى صورته فى صفحته الساكنة ، فبهزه حسنها ، وأخذ يرمقها بقلب مشوق ونفس هائمة ، وهو لا يعلم أن الحبيب الذى تأمله هو إلا ظله ، وعروس الماء التى تبلت فؤاده إن هى إلا خياله !!

عينان كبيرتان ذوانا أهداب زاهما وظف ، وجبين واسع وضاء مشرق ، وخدان أسيلان تكودوربات الأولب ، وشملى حلو ثابت فوق بشرة الوجه يزيده رونقا وجمالاً ، وثغر حبيب كأخوانة أوشكت تنفتح ، ترف حوله بسمه ساحرة من حين إلى حين ، وذقن رقيق مستدق يرتفع على عنق يونانى رائع ، ثم فتنة تنمر ذلك جيماً !!

خاطبه زركيسوس ، ولكن ... وأسفاه ! إنه لا يرد إلا تنمة ، ولا يجيب إلا كآتهمهم الريح ! ومد يده ... فقد الخيال يده ، واستطير صاحبنا من الفرح ، ظاناً أن حبيبه تواق إلى ما يريد !

واقترب بفمه ، يرد قبلة ، فاقترب الخيال بفمه كذلك . ولكن ... بالخيلة الأمل ! ما كاد العاشق اللولان يحس الماء بشفتيه حتى ذهب حلمه أبدياً ، وتكسرت مئني نفسه الحيرانة ، وفر الخيال فى شظايا الماء ... ونحطمت الصورة الرائسة بدداً !! وخيل لزركيسوس أنها تقول وهى تهتز ، قبل أن تلتئم : « لا ... لا ... لا ... لا ... »

ولبت عيشاً يحاول قبلة ، وتكرر الآية كلما مست الماء شفتاه .. فانطلق مغيظاً محنفاً ، وهام فى القفار على وجهه ، لا يطيب لجفنه السهد كرى ، ولا يحلوفعه المرير عيش ، لجفاء الحبيب ، ونفرة آسياه المجيب ! ؟

زركيسوس ! الذى بلبل قلوب العذارى ، وسفك دموع الحسان ، وصرّج كبرياء النيد بالدم ، وأذل البسمات التى طالما حملتها إليه أجنحة الحب من ثغور الفاتئات ... زركيسوس ، الذى أتى بحب إينخو فى التراب ، تستبيه صورته ، وبصباه خياله ، ويأسره ظله ؛ ... فيالآنقمة كيوييد ، وبالعذالة قينوس !! لقد طفق يختلف إلى القدير لنى كل شروق شمسي ، يناجي

فقال : « هل من أحدهنا ... ؟ »

وأرسل هذا السؤال فى رعب خفيف ، فرددت إينخو اللفظة الأخيرة : « هنا ... »

فهمت زركيسوس ، وقال ، وقد خال التكلم امرأة :

« هلى يافتاة ... هلى ... »

فرددت إينخو اللفظة الأخيرة ... « هلى ... »

فزادت حيرته ، وتضاعف خياله ... وقال :

« لم لاتأتين إلى ، وليس هنا أحد يرى ؟ ولا انسان يشهد ؟ »

فتار كامن الهوى فى نفس إينخو ، وملأت اللفظة الأخيرة :

« يشهد ؟ » بكل ما تركت لها حيرا فى قرارة لسانها من رنين فضى ، وجرس جيل ... »

وعاد زركيسوس يقول : « يافتاة ! ليت شعرى ما يحجزك ؟ »

أين أنت إن كنت هكذا تستحين ؟ تعالى »

وكان إينخو أدركت أن الفرصة سانحة للقاء هذا الحبيب الطارى ، فبرزت من مكنتها فى غير هية ولا وجل ، وقصدت إليه ، تمرض جها وظلى جواها عليه ؛ ولما لم يكن فى مكنتها أن تخاطبه ، لتكشف له عما تضمر من هيام به ، ومحبة له ، بدا لها أن تثب إلى حيث هو فتماثقه ، وتضم صدره إلى صدرها ، ليث أحدهما إلى الآخر

ولم تكدر تفعل حتى جهد زركيسوس فى تخليص نفسه منها ، ثم انطلق فى القابة لا يلوى على شئ ، كالرثم المروع والظالم المغزع ... !

وذلك أنه لم يجرب هذه المفاجأة بالحب ، ولا وقع مرة فى شراك غرام ، وقد ربكته إينخو حين غمرته بكل جها ، فشرق به وغص ، وقال : القرار الفرار !

ونسلمت الهمة على قلبها فشقه ، والشجن على جسمها الناحل فأضناه ، وكانت صدمة هائلة صدعت جوانب نفسها ، وزادتها نكالا على نكال ، ثم تتابعت الأيام وهى ما تزداد إلا سقاماً ... واضمحلت ... ثم اضمحلت ... حتى غدت .. لا شئ !! ولا شئ ! هذه ليست مبالغة فيما حل بها ، إذ الصحيح أنها غدت لا شئ ، إلا هذا الصدى يتردد فى كل واد ، ويذهب إثر كل نداء وهى إلى اليوم تأوى إلى النيران ، وتتخلف إلى الشيطان ، وتنحدر مع الريح على جنبات الجبال ، تنى همها ، وتندب حظها فى النادين !

قلبه ، وتأرجحت روحه في حذقيته ، ... و ... دنت ساعته !
ووقفت إنخو في فنن وارفر ، في أيكة قريبة من الغدير ،
تشهد الفصل الأخير ، من مأساة حياتهما ...

وسمته يقول مخاطباً ظله : « أيها الحبيب ! أجل ! لقد حق
لك أن تنتصر على كبريائي ، وتسحق مررتي وتهذ أعضائي ...
هأنذا أموت أيها الحبيب ... بقربك ... يا عروس الماء
الناقر ... أموت ... وأحبك ... فالوداع ... الودا ... ع »
وبكت إنخو ورددت هذا الصدى الحبيب :
الودا ... ع ! »

وأقبلت عرائس الماء تنوح بدورها على زكيسوس ،
ثم ذهبت في أرجاء الغابة تجمع الحطب لاحتراق الجثة ، كما جرت
بذلك العادة في ذاك الزمن ولكن ؛ يا للمعجب ! لقد عادت
فما وجدت غير زهرة جميلة من أزهار الترنجس ! انحنيت على
صفحة القدير تنظر فيه إلى ظلها وتذرف دمعها . . .
قطرة ، قطرة دميئى متبسة

حبيبه المبود وأمله المنشود ، فلا ينثنى إلا إذا توارت بالحجاب !
وما انفك يشكو ويتوجع ويستمطف ، وما انفك الخيال
يتصام ويتباكى . وإذا تحدث تمم !!



زكيسوس يحول إلى زهرة — تصرير بوسين

ثم ...

أجل فلا بد من ثم هذه ...

ثم ذوى عوده ، وذبلت قنصرته ، وتهدم جسمه ، وتحطم

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب الطبيعة لأرسطو

أتمت لجنة التأليف طبع كتاب الطبيعة « لأرسطو »
ترجمة الأستاذ الكبير « أحمد لطفى السيد بك »
وبه مقدمة بديدة للأستاذ « سانهليز »
وقد طبع في مطبعة دار الكتب على ورق جميل ويقع
في نحو ٤٥٠ صفحة من القطع الأكبر
وبهنا يكون ما أخرجه الأستاذ من كتب « أرسطو »
ونشرته اللجنة ما يأتي :

- كتاب الأخلاق لأرسطو في جزئين ثمنه ١٠٠
- الكون والفساد » في جزء » ٤٠
- الطبيعة » » » ٥٠

(وتطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة)

وزارة المعارف العمومية

اعلان مسابقة

عن الحاجة الى كتب للمدارس الصناعية

تعلن الوزارة عن حاجتها الى طائفة من الكتب توضع
وفقاً للمناهج الجديدة المقررة للمدارس الصناعية — وتقدم
للوزارة في ميعاد غايته ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥

وبيان هذه الكتب وشروط المسابقة موجود بأدارة
مخازن الوزارة بالقاهرة . ويمكن طلبه منها أو الاطلاع عليه
بها أو بعدد الوقائع المصرية نمرة ١٤ الصادر في ١٤ فبراير
سنة ١٩٣٥

في ربوع أمريكا الجنوبية

للأستاذ الرحالة محمد ثابت

عبر الأنديز الرائعة :

لقد كان من أحلامى التي خلقها منذ أمد بعيد خيالاً بعيد النال ، أن أعبر جبال الأنديز وأمتع النظر بمشهد (أكونكاجوا) ثانية ذرى العالم علواً ، وكانت تعاودنى تلك الأمنية سنة بعد أخرى ، حتى شاءت المقادير فحققت لى ذاك الأمل فى الصيف الماضى ، وكـم كثرت الأراجيف وأنا على ظهر الباخرة إلى « الأرجنتين » بأن الطريق ممطل ولن يمكن عبوره اليوم ، وما كدت أصل بونس إيرس حتى قصدت على الفور داراً للسياحة مستملاً ، فقيل لى إن الطريق ممطل على أثر السيول والثلوج التى اجتاحت منه اثنى عشر ميلاً بقطرها ومحاطها وقناطرها ، ولن يمكن عبوره فى ذاك الجزء إلا على متون البغال الممضنة وسط الثلوج الهميسة مدى أسبوع ، فأخذتني الدهشة ، وكاد يتطرق اليأس إلى ، لكنى عدت فاعتزمت الإقيام بتلك التجربة حتى لا أحرم رؤية بهاجل الأنديز الهميسة ، وبعد لآى ما قبلت شركة السياحة أن تبمعنى التذكرة ، وقد اشترطت ألا تتحمل أية مسئولية إذا حدث لى حادث فى الطريق ، وكـم سرح الخيال فى تلك المجهال بقية يوم السبت وطيلة الأحد ، فكان قارة يبدو الأمر قائماً خيفاً ، وطوراً يضىء الأمل فتبدو الرحلة فأحجة شائقة . قصدت دار الشركة صباح الاثنين لأنسلم التذكرة ، وما كاد يرانى الرجل حتى صاح بإسما أن قد فتح الطريق لأول مرة ، وأنى سأعبر المنطقة المتهاجرة على السيارات المريحة بدل البغال الخطورة ، وذلك أول يوم يستأنف فيه السفر الآمون بعد أكثر من نصف عام ، ومن العجيب أنى لم أقابل ذاك النبأ بما يستحقه من الفرح والبهجة إذ كانت النفس تطمح إلى ركوب البغال وسط الثلوج فتكون غطاطرة جديدة بالتجربة . ابتعت التذكرة إلى سانتياجو ودفعت زهاء ستة عشر جنيهًا مصرياً ثمناً لها

فتنا فى الساعة السابعة صباحاً بالسيارة نبرح مندوزا صوب

جبال الأنديز وما كدنا نغادر جوانب البلدة حتى أوغلنا فى سهول شبه صحراوية ، يكسوها الحصى وتتخللها أعشاب وشجيرات قصيرة شائكة يابسة ، وكانت تقوم جبال الأنديز أمامنا فى صفحة قائمة منفرة عريت من التبت ، ولبننا نسير مسعداً على ليات أحد وديانها الفائرة الجافة حتى فاجأنا شبه سهل فى وسط الجبال ، به بعض الزرع والشجر الأخضر فبدنا كأنه الواحة وسط الصحراء وتلك محطة (أُسپالباتا Uspallata) وهنا بدت الجبال العاتية تكسوها الثلوج المشرقة يسيل ماؤها فى واد ضيق ، جوانبه مشرفة عاتية مجدية ، ويمجرى فى أسفله ماء شحيح — وهو نهر مندوزا — وهذا نهر أسپالباتا الذى سلكه الانسان منذ حل أمريكا فى المصور البائدة مخترقاً به تلك الجبال ، ولما جاء الأسبان اتخذوه طريقهم على متون البغال ثلاثة قرون ، حتى أقيمت سكة الحديد ، وقد شاهدنا قنطرة صغيرة مكدبة من عمل الهندو الأحمر قديماً ولا يزال يسميه القوم (Camina de Los Andes أى طريق الأنديز) بعد ذلك أخذت السيارة تصعد فى منعطفات وعرة دونها هوى سحيقة وأمامها نجاد شاهقة تجلجلها الثلوج الناصعة فى مشهد يأخذ بالألباب ، وكثيراً ما كنا نلمح على بعد جوانا كو يسرع بالمهروب بمجرد إحساسه بنا وهو كاللاما من فصيلة الجمل ، وبعد مسيرة ست ساعات بسياراتنا وصلنا محطة : لاس فاكاس :

وكنا نشاهد فلول القضبان والقناطر مهشمة أليما نهشيم

وقفنا ننتظر القطار والريح عاصفة والبرد قارس زهير ،

وكنا نرى على بعد قمة Tupungato بهائمها المدية البيضاء وهى

من أعلى ذرى الأنديز إذ يبلغ علوها ٢٢١٣٦ قدماً

أقبل القطار وكان مقدمه مغطى بالثلوج كأنه يحمل وسقاً

من الجليد الناصع ، وحللت مكانى من الدرجة الأولى وهى تقارب

الدرجة الثانية عندنا ، وليس بالقطار سوى درجتين ، وكان قد

أمننى الجوع إذ كانت الساعة الثانية بعد الظهر فلبأت فوراً

إلى عربة الطعام وتناولت الغداء الشهى الجيد ، وكان نحه زهيداً

لا يجاوز ثمانية قروش ، وذلك من أثر الرخص الذى كنا نسمع

عنه فى بلاد شيلي . وفى منتصف الطعام فاجأنا منظر غريب :

مجموعة من أسنان الصخر بعضها فوق بعض تتوجها صخرة كبيرة

ساكت الدير على بعد ، والأسنان شابهت الرهبان الصاعدين إليه ،

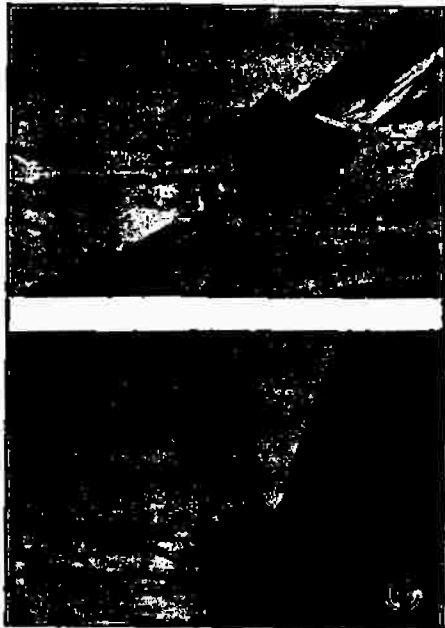
كأنها الهامات الشم جللها الشيب الناصع ، ومن السنة جليدها كان يسيل لعابها في زرقة مستملحة زيبها زبد أبيض ، وكما تكاثر الثلج على أسلاك غلاظ وصفائح قاسية فقوضها ، وأنت ترى بقع الثلج الأبيض كندوف القطن تملأ التجاويف الواحدة تحت الأخرى ، والماء يسيل من هذه فهو في جنادل وشلالات الى الأخرى فيذيبها ، وقد يجمد بعض الماء الهاوى فيظهر في زوائد وأسنان بلورية ، وفي الهوى النائرة بتجمع الماء ويجرى في واد ضيق ، وفي كثير من البقاع كان يقام للقطار نفق من حديد مخافة تكاثر الثلج ، وفي هذا الجزء كان القطار يسير على ثلاثة قضبان ، الأوسط منها مسنن لكي تشتبك به تروسه خشية وعورة المنحدر . دخل بنا القطار نفقا طوله ميلان تقريبا ، ومن غريب المصادفات أن ارتفاعه عن سطح البحر ميلان أيضا ، وهو أعلى جهات سكة الحديد ، فهي هنا ١٠٥١٢ قدما فوق سطح البحر وفي وسط



نطار الأنديز وسط الثلج

ومن ثم أطلق عليها القوم اسم Penitentes ثم وقف بنا القطار في محطة (بونتادل أنكاس) ومعناها جسر الأنكا ، فنزلنا سراعاً نحو الحمر المجيب ، فإذا به صخرة متصلة بالجوانب، تحتها وادفسيح يجري

به ماء ، بعضه مستمد من عيون حارة عظيمة النفع في الاستشفاء ، والجسر طبيعي عظيم الاتساع ، يمكن ثلاث عربات متجاورة من المرور ، فمرضه تسعون قدما وعلوه ٦٥ وصمكه ٧٠ وقفة عرف منذ القرن الخامس عشر وأحيط بالخرافات وأنه مقر الأبالسة في عرف الهنود الحمر ، وأطلق عليه اسم أحد قواد الأنكا توباك توباكوي (Tupac Tupaqui) وقد وقفنا بعد قيام القطار نترقب قمة (أكونكا جوا) أعلى ذرى الدنيا الجديدة (٢٣٣٠٠ قدم) وأول ما تسنم الانسان هاتما في ١٤ يناير سنة ١٨٩٧ ظهرت تشمخ باسقة في السماء ومن حولها جهرة من الذرى الأخرى يجللها جميعا بياض الثلج الناصع ، وبين فترة وأخرى كان يحلن فوق رؤوسنا طائر الريح الهائل ملك المرتفعات وأقنر الحيوان على احتمال عصف الريح وقر البرد ، وكان الثلج يسود الأرجاء كلها ، اللهم إلا في بعض الشجيرات القصيرة ونبات الصبار (السكاكتاس) في شكله المعجيب وكأنه اسطوانات تقوم متجاورة ، ويكسوها زغب من شوك طويل ، وكنا كلما تقدمنا زادت كثافة الثلج حتى أن القطار كان يجري بين جدران خائق من الجليد الناصع كاد يغطي العربات إلى نصف ارتفاعها . وفي محطة : (لاس خويقاس) دخل القطار ظلة أقيمت من الحديد المجزع تفاديا من ثقل الثلج ، وهناتعدت الرى ، فكانت



نمناز نفق الحدود بين أرجنتينا وشيلي

وذلك إذنا كنا بتخطي الحدود . ولما أن خرج القطار من النفق الى ضوء الشمس أشار القوم أنها هو (الكريستو) الى يميننا ، وهو تمثال هائل للمسيح أقيم في سنة ١٩٠٤ حينما احتكم الخصمان في مشكلة الحدود الى ملك إنجلترا ادوارد السابع ، والذي توسط في حسم النزاع وعرضه للتحكيم نساء الفريقين وقساوستهم

بعجد شيئاً ، فلن يأخذ القارىء من قولى إلا قبساً ضئيلاً ،
وعليه إذا أراد الوقوف على شيء منها أن يمنع نظره عما يرى
يحس بما أحسست . ويقولون إن أجل ما ترى مناظر الصخور
وأروعها فى العالم بين تينك المحطتين . أخذنا غر بالمحاط الشيلية ،
وكلمنا هبطنا ندر الثلج وزادت القرى وتمددت السابيل المائية ،
وقد بدا هذا الجانب من الجبال أغنى بمناصر الحياة بين لسان
وحىوان ونبت وشجر من الجانب الشرقى ، لأن رياح الباسفيك
تدبر عليه من بللها ماءً وفيراً على تقيض الجانب الآخر الشرقى .
ومن الأنهار التى استرعت نظرنا (الريو بلانكو) أو النهز الأبيض ،
وسمى كذلك لكثرة ما يعترض مائه من صخور يرغى فوقها فيمدو
أبيض ناصعاً . ثم وقفنا طويلاً فى محطة (Los Andes) وعندها غيرنا
القطار الضيق الى آخر . ثم خيم المساء فخرنا بقية الاستمتاع بالجبال
الطبيعة بين هذه وسانتياجو ، ولقد غيرنا القطار مرة أخرى فى محطة
(لاى لاى) وهنا يرى أول قبس من مياه المحيط الهادى الى عين المسافر
وفى منتصف الثانية عشرة مساء دخلنا سانتياجو بعد مسيرة
زهاء سبع عشرة ساعة من مندوزا أو سبع وثلاثين ساعة من
بونس إيرس ، وكان مقدراً لعبور القارة كلها من بونس إيرس الى
سانتياجو ثلاثون ساعة بالقطار مسافة قدرها ٨٨٨ ميلاً أو تزيد
محمد ثابت

على أن تنفق نفود الحرب فى تحسين الطرق على الأنديز ، وبجزء من
ذلك المال أقيمت سكة الحديد . ثم اكتبوا لهذا التمثال ، وقضى
ملك الانجليز يحمل الحد عند تقسيم المياه بين الدولتين ، وهى هنا
على علو ١٢٨٠٠ قدم ، والتمثال من البرنز القائم صيغ من بعض
المدافع الحربية القديمة التى أخذوها من الأسبان فى حرب الاستقلال
رضاً للسلام وتحطيم أدوات الحرب ، ويقوم على قاعدة من جرانيت
وعلو ٢٦ قدماً ، وقد نقش على قاعدة التمثال ، وتحت أقدام
المسيح ما معناه :

«لقد أقسم رجال الأمتين بين يدى المسيح ألا ينقض عهد
السلام بينهما ، حتى ولو دكت تلك الجبال فصارت هباء» . على
أن التمثال كادت تكسوه الثلوج فتخفيه . أخذنا فى الانخفاض
من منحدر وعمر ، ما كان القطار ليستطيعه لولا القضبان
المنفذة ، ومن دوننا وادى أكونكاجوا الغائر ، وبين عطلى
كارا كولس ، بورتيليو ، فاجأتنا عجايب الربى فى تعقيد رهيب
توسطها بحيرة الانكا على علو ٩٠٠٠ قدم ، ويقولون بأن
مائها ثابت المقدار لا يزيد ولا ينقص طيلة العام ، وذلك ما زاد
قدسيته عند الهنود ! ولن يستطيع قلم مهما أوفى من البيان
والافصاح أن يبرر عما يحسه المسافر من رهبة وجلال تتمثل
فى عظمتها القدرة الإلهية التى ترى بكل شيء ، وما الوصف

السلسلة الفلسفية

لجنة التأليف والترجمة والنشر

اعترمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج سلسلة فلسفية تقدم للقراء تاريخ الفلسفة فى مختلف عصورها من فلسفة
يونانية وإسلامية وحديثة ، كما تقدم لهم خلاصة للمذاهب الفلسفية ، وتراجم مشاهير الفلاسفة بأسلوب سهل
وسيسر على هذا العمل الأستاذ (أحمد أمين) - وستخرج السلسلة فى فترات متعاقبة - وستكون باكورتها :

قصيدة الفلسفة اليونانية

للمؤلف : أحمد أمين وزكى نجيب محمود

يقع الكتاب فى نحو ٣٦٠ صفحة ويبحث فى الفلسفة اليونانية من أول عهدها الى آخر الأفلاطونية الحديثة ويعرضها
فى شكل واضح جذاب أشبه ما يكون بالقصة - قد حلتى بصور كثيرة اشاهير الفلاسفة ومدارس الفلسفة
ظهر حديثاً (ويطلب من لجنة التأليف والمكاتب الشهيرة ونعنه ١٥ قرشاً خلافاً أجره البريد)

البربري الأدبي

كتاب عن سنت هيلانه

وتستطيع أن تتأمل في كتاب مسيو أوبري ، لا صورة الأمبراطور وحدها ، ولكن صور أولئك الرفاق المخلصين من الرجال والنساء الذين ربطوا حياتهم بحياة سيدهم ؛ فهناك أسرة موتولون ، وأسرة برتران ، والجنرال كورجو ، والسكرتير لاسن كاز ، والوصيف مرشان ، والطبيب أوميارا ومنبول ؛ هذا عدا حاشية الأمبراطور من الحراس الذين رتبهم الحكومة الانكليزية ؛ وبما يشوق القارىء حياة المرأتين اللتين تبنتا الأمبراطور مع زوجيهما وهامدام موتولون ومدام برتران ؛ فقد كانتا على خصام دائم ، ولهما قصص ومنافسات ودسائس مشجبة

وهناك نقطة تاريخية هامة يصححها مسيو أوبري ، وهي تتعلق بموقف السير هيدسون لو ، حاكم سنت هيلانه وسجبان الأمبراطور ؛ فقد ملأت التاريخ والسير التي كتبت عن مأساة سنت هيلانه بدم السير لو واتهامه بالقسوة والجور والندالة ؛ ولكن مسيو أوبري يصحح كثيراً من أخطاء هذا الرأى ، ويقدم إلينا السير لو في الصورة الآتية : « كان السجين وكبير حراسه في سن واحدة . وكان الأخير رجلاً صغير القد ، نحيفاً أحمر الشعر ، في وجهه بقع ، يخفى وجهه تحت ثوب من الخشونة الحرية ؛ ومع أنه لم يكن يتمتع بصفات باهرة ، فإنه لم يكن مجرداً عن الخلال ؛ ولقد كان غلصاً لوطنه ، وكان إدارياً حازماً ، مستقيماً ، متقشفاً ؛ ولم تكن تنقصه الطيبة الطبيعية ؛ بيد أنه كان يصدر عن تحكم ، وكان مدعياً ، متكبراً ؛ ولم يكن ذارقة ولا ظرف » ، والحقيقة أن السير لو كان موظفاً أميناً بقطاً ، يسهر على أسيره بعناية ، ويخشى إفلاته من سجنه ؛ فكان يراقبه ليل نهار ، ويضيق عليه سبيل الحرية والحركة ؛ ومن هنا نشأت فكرة اتهامه بالقسوة والندالة

وقد كان لصدر كتاب مسيو أوبري صدى عميق في دوائر التاريخ والأدب . وأجمع النقاد الثقات على أنه خير كتاب صدر في موضوعه

صدر أخيراً كتاب بالفرنسية في مجلدين عنوانه « سنت هيلانه » بقلم مسيو أوكتاف أوبري . والكتاب مثل بديع للتاريخ القصصى أو القصص التاريخي ؛ ومن الواضح أن مسيو أوبري لم يرد أن يقدم لقارئة « سنت هيلانه » ، تلك الجزيرة المنسية الثانية ، وإنما أراد أن يقدم تفاصيل المأساة التاريخية العظيمة التي كانت سنت هيلانه مسرحاً لها ، ونمى اعتقال الأمبراطور نابليون بها مدى ستة أعوام ، ثم وفاته ونوائه الأخير بها . ولقد كانت مأساة سنت هيلانه في حياة نابليون أعظم من أى حرب ومن أى موقعة ؛ فقد جمعت من الأمبراطور العظيم مسيحاً آخر ، وشهيداً ؛ وما هى سنت هيلانه ؟ هى جزيرة صغيرة طولها ستة عشر كيلو متراً ، وعرضها اثنا عشر كيلو متراً ، وترتفع عن سطح البحر بمئات الأمتار ، وتبعد في أعماق المحيط نحو خمسمائة كيلو متر عن الشاطئ الأفريقي ، فهذه البقعة النائية القفراء هى التي اختارتها انكلترا لاعتقال أعظم جندي وقائد في العصر الحديث ويستعرض مسيو أوبري في كتابه تاريخ الأمبراطور منذ هزيمته وأقول نجمة في سنة ١٨١٥ ، ثم اعتقاله وإقامته في المنفى حتى وفاته سنة ١٨٢١ ؛ ولم يصدر من قبل كتاب أوفى وأدق عن هذه الفترة من حياة نابليون . وقد كتب من قبل عنها كتاب عدة ، بالاعتماد على الوثائق والمذكرات المختلفة التي تركت من زملاء نابليون في المنفى ؛ ولكن مسيو أوبري لم يكتف بالوثائق المكتوبة ، بل سافر الى سنت هيلانه ، وأقام مدى أسابيع في « لونجوود » وهو المنزل الذي سكنه الأمبراطور منذ معتقله حتى وفاته ؛ واستعرض هناك الوثائق الانكليزية ورسائل السير هيدسون لو وسجبان الأمبراطور ، ورسائل زملائه في المنفى وأطبائهم ، وهى وثائق تملأ نحو تسعين مجلداً كبيراً ؛ ولم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الأمبراطور وحياة زملائه في المنفى إلا استوعبها .

ذكرى سيرفانينس مؤلف دونه كيشوتى

اللغة العربية في تركيا

جاء في صحف الآستانة ما نصه :

اجتمع مجلس بلدية ماردين في ٨ الجارى برئاسة عزيز أوداس وتذاكر في الاقتراح الذى قدمه بعض الأعضاء احتجاجاً على تعميم اللغة العربية في ماردين وضرورة منعه ، وبعد المذاكرة تقرر مجازاة كل من يتكلم اللغة العربية بخمسين قرشاً تركياً ، وفي المرة الثانية بمائة قرش ، وفي حال التكرار يحكم عليه بالسجن !!

اللغة العربية في أمريكا

جامعة برنستون في الولايات المتحدة من أشهر الجامعات في العالم على الإطلاق ، وقد أعلنت أخيراً أنها قررت تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في فصل الصيف تحت إشراف الدكتور العلامة فيليب حتى اللبناني المعروف . ولأول مرة تفتح هذه الدروس العربية في تلك الجامعة للرجال والنساء على السواء !!

ظهرت منذ أعوام حركة في أسبانيا وفرنسا للعمل على تجديد ذكرى الكاتب والشاعر الاسبانى الأنهر سيرفانينس سافدرا مؤلف القصة الخالدة « دون كيشوتى دى لامانكا » ؛ واتخذت هذه الحركة مظهراً عملياً بتأليف لجنة في فرنسا تحت رئاسة مسيو دومرج الفخرية ، وقد كان يومئذ رئيساً للجمهورية ، ورئاسة مسيو بول بورجيه الفعلية ؛ وكان ذلك منذ سبعة أعوام ، وما زالت اللجنة قائمة ، ولها برنامج ضخم يقتضى تنفيذه الملايين . وقد يجدد الحديث عن مهمة هذه اللجنة وعملها أخيراً بمناسبة ظهور طبعة أثرية جديدة بالفرنسية « لدون كيشوتى » . وهذه الطبعة الجديدة من أجل وأنظم مآظفر اليوم من طبعات القصة الخالدة ، وهى في مجلد واحد ضخم ، وقام على إصدارها الكاتب الفرنسى جان كاسو ، وهى من أقدم التراجم الفرنسية المعروفة ؛ منها قسم من ترجمة جيزار أودان ، وهو كاتب وجاسوس فرنسى أوفده هنرى

الرابع إلى مدريد في مهمة سرية ، ففضى هنالك تسعة أعوام ، وعاد وفي حقيقته مخطوط الترجمة ؛ والقسم الثانى من ترجمة دى روسيه ؛ وقد صدرت لامين فقط من صدور النص الأصلى في أسبانيا (سنة ١٦٠٥) ؛ وقد عني مسيو كاسو بتصحيح النصوص القديمة وتنقيحها وشرحها عناية كبيرة

أما حديث اللجنة التخليدية الفرنسية ، فهو أنها وضمت برنامجاً ضخماً لأحياء ذكرى الكاتب الكبير بالتعاون مع اللجنة الاسبانية ، وذلك في مدينة نوبوزو من مقاطعة لامانكا التى ينسب اليها الفارس المتجول « دون كيشوتى » ؛ ومن المقرر أن يقام لسيرفانينس تمثال غم من صنع ماشادو عميد المثاليين الاسبانين ؛ ويقترح البعض أن يقام في نوبوزو تمثال هائل يمثل دون كيشوتى ، يتيمه وصيفه سانكو ، وهو يجر حماره ؛ ويرى أصحاب هذا الاقتراح أن يكون جواد الفارس من الضخامة بحيث ينشأ في بطنه متحف لسيرفانينس ، يصمد اليه من سلم في ساقه ؛ وأن ينشأ في رأسه مقصف صغير ، وأن يكون في جوف الحمار مطعم ، وهو مشروع كالم يذكركنا بأعاجيب العالم القديم ؛ والمهم أنه يقتضى الملايين أو عشرات الملايين ، وليس في يد اللجنة منها شئ.

من ركب الباخرة

النيل

يعود لركوبها

أعدتها لخدمتكم

شركة مصر للملاحة البحرية

بكل أسباب الراحة والرفاهية

عناية في الخدمة ، وأجور غاية في الاعتدال

رحلات منتظمة ظهر يوم الخميس كل أسبوعين

من الاسكندرية الى جنوا ومرسيليا

ابتداء من يوم الخميس الموافق ٢٣ مايو المقبل



الانجليز في بلادهم

تأليف الدكتور حافظ عفيفي باشا
للأستاذ م. ف. ا

والثالث : المسائل المالية ، والرابع : التعليم في بريطانيا ، والخامس : نظام القضاء ، والسادس : الأبراطورية الانجليزية . فأنت ترى من هذا أن الكتاب بحث شامل يكاد لا يفقده القارى ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية في بلاد الانجليز . على أننا مع ذلك قد شعرنا بأن مقدار ما يخرج به القارى من العلم بالحياة العادية في بلاد الانجليز لا يشقى الغلة ، قالت تصوير الكتاب لطبقات الشعب ، ونفسية كل طبقة ، وعلاقة الطبقات بعضها ببعض ، بترك محلاً كبيراً يشبه التشويق إلى المزيد

والكتاب جدير بأن نقدر له غير فصل واحد في صفحات الأدب والاجتماع . ولكن حسبنا اليوم أن نقول كلمة واحدة عامة عنه ، لتبين معنى واحداً من المعاني التي رأينا فيها مأخذاً على الكتاب ، ولكي نقدره تقديراً مجزئاً بغير تفصيل

لعل من أكبر أسباب الزلل في الحكم على قوم أن يكون الذى يقف نفسه للحكم عليهم متأثراً بميل سائق قبل أن يتصدى للحكم . وقد ظهر ذلك المأخذ واضحاً لنا في معالجة الدكتور للحكم على طبقات الشعب الانجليزى وتحديد ماهيتها . فكما أن الحكم قد يكون متقدماً لتجامل صاحبه على من تصدى للحكم عليهم ، كذلك قد يكون متقدماً إذا كان صاحبه مملوء القلب باجلال من تصدى للحكم عليهم . بل لقد يكون زلل الحكم أعظم وأكثر تهليلاً إذا كان الذى يحكم متأثراً بالليل والمودة . ويكون ذلك الزلل أشد أضراراً إذا صحبته تلك النعمة الهادئة التي تاتي في روع القارى أن الكاتب غير متحيز في الحكم . فالحق أن الدكتور معجب بالشعب الانجليزى إعجاباً جعله في حكمه لا يكاد يرى بصد غاية ذلك الشعب غاية ، ولا دون قصاره قصارى

فنظام انجلترا في نظره يحوى في نواحيه زعة ديمقراطية جمهورية بارزة متغلغلة في جميع أسسها ونواحيها ، بل إن المؤلف يقول إنه لا يبالغ إذا قال : « إن هذه النزعة أظهر في أنظمة الحكم في بريطانيا منها في أنظمة الحكم في فرنسا التي لما أعلنت الجمهورية استبقت لأسباب تاريخية جميع أسس

لسنا نحاول في هذه الكلمة أن نقدم كتاب الدكتور حافظ عفيفي باشا الى الجمهور ، فقد تقدم به مؤلفه إليه مباشرة ، وله من اسمه ومعرفة الجمهور به ما يغنيه عن ذلك التقديم ، كما أننا لسنا نحاول في هذه الكلمة أن نجامل الدكتور ، فان احترامنا للمؤلف إنما يبعثنا على ألا نحاول بجاملته بغير الحق

إن ذلك الكتاب الذى أخرجه الدكتور من تلك الكتب التي لا يملك القارى أن يصفها وصفاً موضوعياً ، فان كل فصل منه ، بل كل فقرة منه ، تدعو الى التفكير وتدعى لها المعاني في ذهن القارى تداعياً يجعله في شبه معترك أحياناً ، وفي شبه حماسة أحياناً أخرى ، بحسب اختلافه مع المؤلف أو اتفاقه معه في الرأي ؛ فالذى يقرأ ذلك الكتاب يحس ما يحسه المتحدث الى جليس في اجتماع خاص : لا يخجل إليه أنه يتعلم ، ولا يخجل إليه أنه يعرف شيئاً جديداً ، بل يشعر كأنه يجاذب جليسه أطراف حديث في سر ، وهو في أثناء ذلك تارة يناقش ، وتارة يوافق ، وتارة يخالف ، ولكنه على كل حال مستغرق في الحديث مستمتع به لا يحاول الدكتور أن يظهر بمظهر الملم الذى ينقسل إلى الناس شيئاً جديداً ، بل يلقى ما يريد قوله في نعمة هادئة تنسى الانسان أنه يعالج موضوعاً لم يسبق لأحد أنعالجه بمثل استيعابه وطريقته . مع أن الكتاب جديد في موضوعه ، جديد في طريقته ، جديد في لونه

يتكون الكتاب من مقدمة ومن ستة أبواب ، كل منها يعالج ناحية من نواحي الحياة الانجليزية ، فالأول : يتناول الدستور البريطانى ، والثاني : يتناول الرأى العام الانجليزى وتكوينه ،

المظيمة في فداحة الضرائب ، وإيهاز كاهل الانتاج ، وعرقلة
المصنوعات الانجليزية ، بطريق غير مباشر في ميدان المنافسة
التجارية الدولية

وقد يطول بنا القول إذا نحن التحسنا الأمثلة الدالة على هذه
النظرة العاطفة في الكتاب حتى لتكاد تجعل القارى ينسى أنه
يقرأ كتاب رجل من أمة أجنبية يصف ما في إنجلترا بعين الناقد
المستقل

ولئن كانت نظرة العطف هذه قد مالت بالمؤلف التباه إلى
هذه الناحية الكريمة من التقدير ، فإن نظرة الرجل السياسى
الدبلوماسى قد أثرت من جهة أخرى في تقدير المؤلف ، حتى كاد
في بعض الأوقات يصل من المقدمات إلى نتائج لا يبررها
الاستنتاج . ولا يمكن أن يؤول هذا إلا بمعاملة الرجل الدبلوماسى
الذى اعتاد أن يوحى إلى نفسه بما تصوره الظروف السياسية ، فإذا
هو ناطق عن هذا الايحاء بغير أن يحس . يريد الرجل الدبلوماسى
مثلاً أن يقول أحياناً إن عملاً من الأعمال يؤدي حتماً إلى نشوب
حرب بين دولته وبين الدولة التى هو ممثل لدولته فيها ، فإذا به يقول إن
ذلك العمل قد لا يكون مما يؤدي إلى زيادة حسن التفاهم بين الدولتين ،
وعلى هذا القياس كان الدكتور الكبير يصل من بعض مقدماته
إلى بعض نتائج . ولا ضرب لذلك مثلاً من الفصل الأخير الذى
عقده على مصير الأبراطورية الانجليزية ، فانه ابتدأ بحثه بسؤال

الأنظمة التى خلفها الملوك السبديون «
ويقول : « وسهما يكن من بلوغ الديمقراطية البريطانية أعلى غاية
ممكنة في هذا الزمان فإن بريطانيا لا تزال محتفظة بجميع مظاهر
الارستقراطية الملكية »

ولن يستطيع أشد الانجليز تمصباً لقومه ، ولا أعظمهم
لكباراً لكبريائه القومية ، أن يقول أكثر من هذا
وهو يقول بعد ذلك في وصف طبقات الشعب مبتدئاً
بوصف الأشراف : « فالواقع أن هؤلاء الأشراف في إنجلترا همما
سمت مرا كرم وبلفت ثروتهم هم كثيرهم يعملون ويكدون ،
لا يأنفون الاشتغال بأى عمل أو مزاولة أية مهنة »

فهو قد نظر إلى تلك الطبقة من خير جهاتها ، وتطلع عليها
بعين الرضى والاعجاب ، لا بعين الناقد المتحكم
ويقول في عرض حديثه عن الحمل الثقيل الذى تشكو منه
حكومات الانجليز المتعاقبة ، وهو ما تبدله في ميزانيتها للعالم
الماطلين : « ولئن كان هذا العبء الناشئ من تنفيذ هذه القوانين
الاجتماعية في إنجلترا لا يزال ثقيلاً ، إذ يتراوح بين الخمسين
والثمانين مليوناً من الجنيهات سنوياً ، فإن إنجلترا في الوقت نفسه قد
اشترت راحتها وطمانيتها السياسية بهذا المبلغ الذى يتضاءل
بجانب النتائج المظيمة التى جنتها من تنفيذ هذه القوانين »
وكأننا به قد تجاهل ما كان لأثر هذه التضحيات المالية

الكتب النادرة

الكتب النادرة من المطبوعات العربية لا يعرفها إلا
غواتها من الأدباء ومنها المطبوع في بولاق وأوروبا والاستانة
وسائر الأقطار الشرقية ، لهذا اختص صاحب مكتبة العرب
الشهيرة بجمع أمثال هذه الكتب من مطبوع ومخطوط حتى
أصبحت مكتبة العرب عاصمة بأمثال هذه النفائس والتحف
بأتمان مرضية ، كما ان مكتبة العرب تشتري الكتب لحسابها
لأسيما الكتب الخطية والمصاحف الأثرية . وتقدرها قدرها .

وجميع المخابرات مع صاحبها الفاضل

الشيخ يوسف البستاني

بشارع الفجالة ٤٧ بمصر تليفون نمرة ٥٦٠٢٥

وللمكتبة قائمة ترسلها مجاناً لكل طالب

ظهر مديناً قصه

أديب

للدكتور طه حسين

تطلب من

مكتبة النهضة المصرية

شارع المداين رقم ١٥ القاهرة

تليفون ٥١٣٩٤

نحن النسخة ١٠ قروش صاغ

المؤلف الموقف العملي ، ودرس فيه من نظريات المالية والاقتصاد زبداء وأنية مع القصد والجمع للأطراف ؛ وكان المؤلف موقفاً كل التوفيق في بحثه الخاص بالتعليم في بريطانيا ، فقد وصفه وصفاً دقيقاً يدل على نظره الماحص وعقله الثاقب . فإذا نحن نقدنا لونه التفكير ونغمته ، فلا يسمن إلا شكر المؤلف الكبير على محنته فيما دون ذلك ، وعلى هديته من المعلومات الثمينة التي زفها إلى قراء العربية م . ف . ١

نصريب

جاء في مقال الأستاذ محمد محمود جلال المنشور في هذا العدد صفحة ٦٥٦ عن رشيد مانصه : « وهي مركز من مديرية الغربية » والصواب : « ... وهي مركز من مديرية البحيرة »



فقال : « أهي سائرة نحو التفكك والانحلال أم أنها ستستطيع المحافظة على وحدتها إلى أجل طويل ؟ » ثم نأثس السؤال مناقشة لا يشك القراء منها أنه واصل إلى نتيجة أن تلك الأمبراطورية محتوم عليها أن تنصدع ، أو على الأقل أن ينصدع عنها نصفها عند أول حرب جديدة ، ولكن القارىء يجب إذا هو بلغ النتيجة فإذا بها : « من كل ما تقدم يمكن القول بأن لا محل للتشاؤم نحو مستقبل الأمبراطورية البريطانية » . ثم استثنى من ذلك أيرلندة وحدها وقال عنها : « إنها سحابة تعكر هذا الجو »

ولاشك في أن الرجل الدبلوماسي هو السشول عن مثل تلك المجاملة . لقد يكون من المستحسن أحياناً أن يجامل ،

ولكن المؤلف إذا تعرض لكلمة عامة كان واجباً عليه أن يسير مع النطق ، ومع النطق وحده ، والكلمة التي يقولها مثل الدكتور الكبير لها من الأهمية والوقع ما لا يكون لرجل دونه في المسكاة أو أقل منه علماً بما يقول وفي الكتاب فوق كل ذلك نقد ثالث على وجه عام . فأننا إذا قرأنا عن الانحياز لا يمكن أن ننسى أننا نقرأ عن قوم بيننا وبينهم مسألة قومية ، وإذا كان ذلك المعنى في ذهن القارىء فإنه يغير شك بمعجب أشد المعجب إذا هو قرأ كتاب الدكتور الفاضل . إذ يخيل إليه أنه على خير تقدير إنما يقرأ كتاباً لرجل من بلاد غير مصر عن قوم هو معجب بهم إعجاباً خاصاً

على أن هذا المأخذ الذي أخذناه على نظرة المؤلف لا ينبغي أن يمد مفسداً للكتاب أو منقصاً من قدره نقصاً فادحاً ، فإن البحث الذي ساقه المؤلف من دون هذه النظرة العاطفة المجاملة بحث جدير بكل إكبار . فقيه وصف للحياة الدستورية وأساليب الحكم في بلاد الانجليز قلنا يجدر قارىء مثله في كتاب واحد ؛ وفيه باب في تكوين الرأي العام يمكن أن يمد بحثاً خاصاً لصاحب رأى مجتهد مستقل ؛ وفيه بحث في المسائل المالية استمرض فيه